الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
-قسنطينة-

كلية الآداب والعلوم الإسلامية
قسم: اللغة العربية

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات البلاغية

إعداد الطالب:
عصام خروبي

إشراف الأستاذ الدكتور
رابح دوب

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	اللجنة
د. صالح خديش	أستاذ محاضر	جامعة خنشلة	رئيسا
أ.د. رابح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا
د. زينب بوصبيعة	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا
د. عبد الوهاب بوشليحة	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا

السنة الجامعية: 1428-1429هـ/ 2007-2008م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال رسول الله ﷺ:

«أنا أفصح العرب بيد

أني من قريش...»

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

تحية شكر وتقدير للأستاذ المشرف الدكتور "رابح دوب" على توجيهاته القيمة وجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بخالص شكري إلى جميع الأساتذة الذين درسوني.

وإلى عمال مكتبة الدكتور أحمد عروة وعمال مكتبة الشيوخ وقسم الدوريات على مساعداتهم وتسهيلاتهم فجزاهم الله عني كريم الجزاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

إلى من قال فيهما الله تعالى: ﴿وبالوالدين إحسانا﴾

أطال الله في عمرهما متوجين بالإيمان والصحة

إلى جميع اخوتي وأخواتي

إلى كل أصدقائي وإلى كل من عرفتهم من قريب أو من بعيد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمـــد لله رب العـــالمين واهب النعم وبارئ النسم وخالق السماوات والأرض مالك يوم الدين، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

وصـــلى الله وســـلم وبـــارك على سيدنا محمد إمام المرسلين وخاتم النبيين الذي حباه ربه بالـــتكريم وحياه في القرآن الكريم بالخير العميم في قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، أوتي من مراتب الفصاحة أعلاها ومن البلاغة أسناها وأرقاها- أما بعد:

إنّ المكانة التي حظي بها الحديث النبوي الشريف كونه المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القـــرآن. قـــد أهلته لأن يكون له من الخصائص والميزات ما جعل منه منارة ليس للتشريع لأمور الدين والدنيا فحسب، بل تعدى ذلك ليتجاوز حدود الفصاحة والبيان، وكيف لا، وهو الذي قال عنه ربه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى.إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

ولأن مـــن صفات الرسل الأساسية أن يكونوا قادرين على البيان والتبليغ، فكان محمد ﷺ خاتمهم وإمامهم وكانت كبرى معجزاته القرآن الكريم، وهو معجزة بيانية فلا عجب ولا غرابة أن يكون كلام رسول الله ﷺ أبلغ كلام بعد كلام الله ﷻ.

فكان مدده القرآن وأداته البيان الناصع والبلاغة المعجزة في مجتمع عرف بالفصاحة والتزّين بالشعر وتجمّل بالبيان، يقول الرافعي فألفاظ النبوة مصدرها قلب مستصل بخالقه، ولسان نزل عليه القرآن بحقائقه.

كـــان -عليـــه الصلاة والسلام- سيد ذلك المجتمع أدبا وفضلا قبل البعثة، وفصاحة وبيان وإلهامـــا بعـــد نزول الوحي. أفصح الخلق نطقا وأعجب الناس وصفا، أعلم من تكلم بالصواب، وأفضل من أوتي الحكمة وصاحب البلاغة والبراعة، خطيب الخلق إذا جلسوا حظي ببدائع الحكمة تلقى القرآن من فصيح لسانه، واضح البيان والعرفان، كان خلقه القرآن.

الذي أفحمت فصاحته الفصحاء وبلاغته البلغاء وكان يعلن في قوله: «أنا أفصح العرب بيد أنّـــي مـــن قـــريش وربيـــت في بني سعد» وفي قوله: «أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا».

فكـــان جـــريا بالباحـــثين والدارسين أن يهتموا بأقواله وأحاديثه ويدرسوا جمالياته. ومع الاعـــتراف بفضل السابقين إلى هذا الميدان فإن جانب البيان النبوي كان ولا يزال في حاجة إلى مزيد من الجهود لإبانته وعدد من البحوث لتجليته.

وهنا تأتي دراستي لهذا الموضوع " الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف" التي أطمح من خلالها أن أضيف جهدا بسيطا للدراسات التي تناولت فصاحته وبلاغته وتكمن الإشكالية التي يـــدور في فلكها الموضوع في جدول الدراسة البيانية في الحديث النبوي الشريف إلى جانب هذا. هناك تساؤلات مختلفة وهي:

ا-أيـــن يكمـــن الجانب الجمالي والبياني في أحاديثه -صلى الله عليه وسلم- كونها المصدر الثاني للتشريع؟

ب- ما هي الأسس والأبعاد الفنية والقيم الجمالية وراء العبارة النبوية؟

ث- لمـــاذا لم يستطع العرب وهم أئمة البلاغة أن يصلوا إلى ما وصل إليه محمد -صلى الله عليه وسلم-

ج- إذا كـــان كلامـــه مخالفا لغيره في البلاغة والفصاحة حتى لم يكن فيه ساجلا. أيكون معجز؟

وهـــذه التســـاؤلات الـــتي تتحول بدورها إلى المسوغات الحقيقية التي تهدف إليها هذه الدراسة.

أهمية الموضوع وأهدافه:

إن الحديث الشريف ليس مثلا للإعجاز البياني فحسب، وليس طرازا للإعجاز البلاغي فقط مـــع أن كل عبارة من عباراته قمة إعجاز ومعجزة إيجاز. وسأحاول من خلال ذلك الوقوف على جمالـــيات الصورة البيانية في الحديث النبوي الشريف من تشبيه ومجاز وكناية ومن الأهداف التي أرجو تحقيقها في دراستي وهي:

1-الإبانة عن البلاغة المعجزة للرسول ﷺ في نطاق بشريته.

2- كشـــف أســـرار البيان النبوي وبدائع أقواله وحكمه والوقوف على جماليات ألفاظه وعباراته الباهرة وأسراره المدخورة.

3-تأكيد على بلاغته وفصاحته ﷺ وأنها في أعلى مراتب البلاغة.

4- إضـــافة دراسة أكاديمية علمية للمكتبة الإسلامية وبحث آخر يضم إلى جهود الباحثين والمهتمين بالجانب البياني في الحديث النبوي الشريف.

5-إبراز الأغراض النبيلة وفيما اشتمل عليه من دقة التصوير وعظمة التأثير، وروعة الإيجاز وسحر المجاز وبلاغة التكرار وفصاحة الكناية...

ومن هذه المنطلقات فإن الأسباب الحقيقية لاختيار الموضوع يمكن إجمالها فيما يأتي.

أسباب ذاتية:

كثيرا ما كان تذوقي للغة الحديث النبوي الشريف بالمضي في هذه الدراسة والإفاضة فيها وإذا أنا أمام خضم زاخر بروائع الإبداع التي تشحذ الذهن وتنمي الملكات.

أسباب موضوعية:

1-لأنه ﷺ اختاره ربه من أفصح العرب واصطفاه على سائر خلقه.

2-قلة الدراسات في هذا الميدان إذ حظها ضئيل وضئيل جدا مع أنه ﷺ أفصح الخلق. وإذا كـــنا نستشهد بالحديث النبوي الشريف ونقيم عليه أحكام شرعية فكيف نبعده عن الدراسات والأطروحات؟

3-لأنه ﷺ قال عن نفسه: "أنا أفصح العرب".

4-لأن الله ﷻ قد أودع فيه من الخصائص والمزايا ما يغري بالبحث وما يدعوا إلى الغوص والتنقيب.

5-حاجة المكتبة عموما لنوع خاص بهذه الدراسة.

6-كشف الروائع الفكرية والبيانية والأخلاقية والتربوية في حديثه: ﷺ

7- توفـــر الحديـــث النبوي على لآلئ الفصاحة والبلاغة لا يصل إليها إلا من وقف على أحاديثه وتمعن فيها.

8-قلـــة تسجيل الأطروحات عن الحديث النبوي الشريف واحتجاج بعض علماء العربية على الأحاديث الشريفة حجتهم باطلة.

9-إن هـــذه القوانين والتشريعات الربانية لا بد لها من داعية في غاية البيان ومثلا عاليا في الفصاحة وهو ما اختص به محمد ﷺ.

أما المنهج الذي سرت عليه، فإنه منهج تغلب عليه الدراسة الجمالية التي تثير الأذواق كما يرتكز على المنهج التحليلي، فهو في مجمله منهج تحليلي جمالي.

وأما المصادر التي استعنت بها فأهمها كتب الحديث على اختلاف مناهجها ورجالها. وعلى رأســـها كـــتاب صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري لأنه أصح الأسانيد ولقيمة الكتاب في نفوس الخاصة والعامة. وقد اخترت نماذج منه للدراسة.

إلى جانـــب هذا. هناك كتب أخرى مثل " عمدة القارئ" للبدر العيني، و"شرح النووي" لصـــحيح الإمام مسلم. و"فتح الباري بشرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني. و"فيض القدير شرح الجامع الصغير" للمناوي. و"هداية الباري" للطهطاوي. وغيرهم.

كمـــا استعنت بطائفة من المراجع الإضافية التي لها صلة بموضوع بحثي. وقد اقتضت طبيعة الموضوع، ومنهج دراسته أن يسير البحث على تنظيم هذه الدراسة في مدخل: تناولت فيه: معجزة البـــيان النبوي والفصاحة والبلاغة النبوية ثم أبرزت خصائص البلاغة النبوية ثم تحدثت عن جهود العلماء بالدرس البياني للحديث النبوي الشريف قديما وحديثا.

ويتلو هذا المدخل ثلاثة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: التشبيه في الحديث النبوي الشريف

الفصل الثاني: المجاز في الحديث النبوي الشريف

الفصل الثالث: الكناية في الحديث النبوي الشريف

وأنهيت الموضوع. بخاتمة أوجزت فيها خلاصة الجهد الذي بذلته في هذه الدراسة وما فيها من جديد.

وسيرى المتمعن في هذه الدراسة أنها حاولت أن تلم بكثير من النواحي التي تتصل بالحديث النبوي الشريف، وما يمتاز به من أسرار الإبداع في مفردات النص وتراكيبه المحكمة ومعانيه الجليلة، وأغراضه الشريفة، وصوره الرائعة.

وقبل أن أختم هذه المقدمة يسرني أن أذكر أنه كان من توفيق الله تعالى أن قيض لعوني أستاذا مختصا في الدراسات البلاغية، أستاذي الدكتور رابح دوب الذي أخذ بيدي ومهد لي طريق السفر في بلاغة الحديث، وأعانني على تخطي صعوباته الكثيرة في صبر الحكماء وتواضع العلماء. فجزاه الله عني وعن العلم خير الجزاء.

كما أشكر أعضاء اللجنة المتفحصة على قبولهم قراءة البحث ومناقشته، فلهم جميعا مني جزيل الشكر.

وبعد: فإن أكن قد وفقت فيما أقدمت عليه فذلك الفضل من الله، وإن تكن الأخرى، فأرجو الله ألا يحرمني أجر المجتهد المخطئ،

والحمد لله على ما هدى إليه، وأعان عليه، وصلي الله وسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المدخـــــل

1-معجزة البيان النبوي

2-الفصاحة والبلاغة النبوية

3-خصائص البلاغة النبوية

4-الدراسات البيانية للحديث النبوي الشريف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنّ الحديث عن النبي ﷺ حديث لا ينتهي، معين لا ينضب يفيض بالعظمة والنبل والطهر، وتستدفق من جوانبه أمهات الفضائل ومعالي الأمور ويطال كل متحدث عنه ﷺ شعوران حيرة وهيبة.

أمّا الحيرة فلأنّه لا يدري من أي باب يدخل عليه، وعن أيّ جانب من جوانب عظمته يتحدث، فهو البحر الذي لا ساحل له والنور الذي لا تحدّه غاية، والأفق الذي لا يدرك الطرف مداه.

وأمّا الهيبة فإن الكمال الذي منحه الله ﷻ سيّد الرسل يتجاوز دائرة العبارة، ويتخطى حدود الثناء، فماذا عسى أن يقول قائل بعد أصدق القائلين ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

1-معجزة البيان النبوي:

لقد بعثه الله ﷻ في أمة تعتز بالفصاحة وتتبارى في البلاغة وتمجد البيان وتعني من شأنه، فهي تسمو بأهل الإجادة والبراعة فيه إلى أعلى مناصب الرفعة والتكريم، وكان الكلام هو صناعتهم التي بها يفاخرون ويتباهون لذا كانت معجزته ﷺ من جنس ما يشغل فراغ القوم ويأخذ بألبابهم. فبهرهم بجزالة المعنى وفخامة اللفظ وحسن السياق وإحكام النظم، فخرّ أئمة البيان صاغرين أمام روعته وأذعنوا لإعجازه، وهذا انقضاء الحكمة الإلهية أن يكون كلامه ﷺ أسما بيانا حتى يبلغهم رسالة ربه ويهدم عقائدهم ويغير ما ألفوا من عادات وما ورثوا من تقاليد[2].

فإذا كانت بلاغة القول أمرا لازما لكلّ رسول، فهي بالنسبة لرسولنا -عليه الصلاة والسلام- أشدّ لزوما وأقوى حاجة وأعظم أثرا، ومن هنا كان التأييد الإلهي لنبيه ﷺ بمعجزة البيان[3]، إضافة إلى معجزة القرآن.

وفي هذا يقول محمد شاكر:«إن اتساع الفكرة في هذا الزمن ثم بساطتها ثم خفاء موضع الفلسفة العالية فيها ثم تغلغل النظرة الفلسفية إلى أعماق الحقيقة الحية في الكون هو رأس ما يمتاز به كبار الأفذاذ البلغاء... وليس في العربية من هذا النوع إلاّ معجزتان. إحداهما القرآن والأخرى ما

---

[1]-سورة القلم: 4.

[2]-بلاغة الأسلوب النبوي، منشاوي عثمان عبود. مجلة الأزهر. عدد5. سنة 49. رجب 1397هـ(2/ 896).

[3]-المرجع نفسه. (896/2)

صحّ من حديث الرسول ﷺ ففيهما وحدهما تبلغ الفكرة في نفسها ثم بتعبيرها وألفاظها وكلماتها ... وبهذا كان القرآن معجزا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبمثله كان حديث الرسول ﷺ هو ذروة البلاغة البشرية التي تتقطع دونها أعناق الرجال»[1].

ومن مظاهر الإعجاز البياني للرسول الكريم ﷺ أنه كان يخاطب كل قبيلة بلغتها مهما كانت طبيعتها مختلفة، بل الأعجب من ذلك أنه كان ﷺ يحاورها بأرفع أسلوب عرفته لهجتها، وكأنه نشأ فيهم وأقام بينهم، مع العلم أنه لم يسبق له ﷺ أن التقى بألهم أو زار منازلهم وديارهم.

لذلك يصح القول أن المسألة هنا تتعدى نطاق البلاغة التي يحققها الفرد بمواهبه الفردية، صقلا وتهذيبا إلى معجزة من معجزات النبوة، وإلا كيف تعلل هذه البلاغة الفائقة في لهجات ومصطلحات لم تألفها البيئة التي نشأ فيها؟[2]

فهو ﷺ لم يتلق علما من بشر و لم يصاحب عالما و لم يجلس في حياته بين يدي مربي ولا معلم و لم يقرأ كتابا[3]، وكانت البيئة كلها تخيّم عليها ظلمات الجهل والغيّ، ولكن علّمه ربع العليم.

فهذه الفصاحة التي بهر العقول وأذهل بها النفوس، إنما هي منحة إلهية فقد كان يتلقى ذلك عن طريق الإلهام مصداقا لقوله تعالى: ﴿...وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[4].

فقد كان الصحابة وهم قمة فصحاء هذه الأمة بعده ﷺ يتعجبون لكلامه وهو يتحدث بألفاظ لم يسمعوا بها قط، حتى تعجّب ذلك البليغ صاحب المنطق الساحر البيان العذب اللسان علي ﷺ وقال له يا رسول الله:«نحن بنو أبٍ واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره!»

---

[1]-مفتاح كنوز السنة، فنستك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. (1983م)، ص4.

[2]-البيان المحمدي، مصطفى الشكعة.ط1 الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة. (1416ه1995م)ص99

[3]-أعلا م النبوة، أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت450هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (1406هـ-1986م). ص188.

[4]-سورة النساء: 113.

فقال –عليه الصلاة والسلام–: «أدبني ربّي فأحسن تأديبي»[1]، وكذلك قال له صفيه وخليله أبو بكر ﷺ لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت من هو أفصح منك فمن أدبك.

ولم يكن مصدر إعجاب الصحابة من غرابة الحديث أو ألفاظه، فقد كان ﷺ أبعد الناس عن الغريب والحوشي.. . ولكن «جعل الله ﷻ غرابة كلام نبيه ﷺ أحيانا في فقه معانيه ولطف استعاراته وتماسك لبناته وتجامع كلماته ودقة تشبيهاته وأحكام تطابقها»[2].

كما تجلت خصائص النبوة في تلك الألفاظ الموجزة التي تأخذ من سامعها كل مأخذ، فتغير من شأنه هادية إلى الجادة بعد إنغماس في تيه وظلال.

إلى جانب ذلك أنّه وضع كثيرًا من المفردات والألفاظ الجديدة «فكان يقتضب ويشتق وينهج المذاهب البيانية ويرتجل الأوضاع التركيبية ويضع الألفاظ الاصطلاحية، فيصبح ما أمضاه من ذلك حسنة من حسنات البيان، وسرًا من أسرار اللسان، يزيد في ميراث اللغة ويرفع من قدر الأدب... ناهيك بما استحدثه ﷺ من أساليب الدين وألفاظ الشريعة مما لم يأت بها كتاب»[3]، ويجمع الرافعي بعض من جوامع كلم الرسول ﷺ في معرض ذكر ما جاء به من الفاظ جديدة «الآن حمى الوطيس» وقوله «بعثت في نفس الساعة» وقوله: «مات حتف أنفه» وقد روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: ما سمعتها عن عربي قبله وقوله –عليه الصلاة والسلام–«هدنة على دخن و(الهدنة الصلح والموادعة) وهذا في تصوير معنى الفساد الذي تنطوي عليه القلوب الواغرة»[4].

«وكل أحاديثه التي هي من فرائد أقواله ﷺ ومن جوامع الكلم قد أوتيها، اتسمت بالحكمة البلاغية التي برئت من التعقيد والعي والخطل وسلمت من الاستعانة بما لا حقيقة له، كالمجاز البعيد

---

[1]–إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الصادق الرافعي،(ت 1937م)، ط8، ت: محمد رشيد رضا، مكتبة رحاب، الجزائر، ص317.

[2]–الحديث النبوي، محمود النووي.مجلد الأزهر، ربيع الثاني (1376ه–1996م).ج4)، ص431.

[3]–تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ط5، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (1914هـ–1999م)، ص132.

[4]–إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص328–329.

كما نأت عن ظروب الإحاطة وفساد التركيب»[1].

فأقواله ليست بالأقوال العادية التي يحيط بها نطاق القول، أوتي من الأسلوب السهل المعجز ما لم يؤتيه معلّم ولا متعلّم ممّن دانت لهم العربية وملكوا زمامها، فله جوامع الكلم وبدائع الحكم في لفظ ناصع وقول جزل ومعاني خالدة، في عبارات مشرقة مضيئة لا تكلف فيها، يفيض من لسانه البيان الساحر والفصاحة الغالية التي لا تدانيها إيّ بلاغة.

كما أنّ الناظر في حواره ﷺ يجد صورة وضاءة لهذا الإعجاز. فحواره آخذا بكلّ أسباب القول الوسيم الرقيق والأسلوب العذب الأنيق السهل الممتنع[2] يقول السرطاوي عن هذا الأسلوب: «إنّ أسلوبه قد أعجز العرب وهم أئمة الفصاحة والبيان عن أن يقلدوه كيف لا وهو النبي الكريم المؤيّد بوحي الله في كلّ ما ينطق أو يفعل أو يقرر»[3].

وهذا ما كان أيضا في رسائله التي أرسل بها إلى النجاشي النصراني وإلى كسرى... وكانت كل رسالة يراعي فيها مقتضى الحال فتتجلى فيها الدقة وإصابة الهدف مع الإيجاز والوضوح[4].

إنّ عشرات الرسائل التي يكتبها صانعوا الفن لا تسموا إلى رسالة واحدة أرسلها فصيح مطبوع هو محمد ﷺ وصدق الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[5].

إن ما كتب ﷺ يصدر عن نفسه الزكية العاقلة، فطابق بين الحال ومقتضاه وبين القول وصاحبه فجاءت رسائله متفقة كل الاتفاق مع ما شاع من تعريف البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

---

[1]-الخصائص الفنية في الأدب النبوي، محمد بن سعد الدّبل، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض،(1418هـ-1997م)، ص 219.

[2]-البيان المحمدي، مصطفى الشكعة، ص ص100-108.

[3]-دراسات في الأدب العربي، معاد السرطاوي، ط1، دار مجد لاوي، عمّان، الأردن،(1409هـ-1988م)، ص90.

[4]-ينظر: البيان المحمدي، مصطفى الشكعة، ص ص111-174.

[5]-سورة العنكبوت: 48.

ومن هنا تكمن قوة بيانه وأسلوبه الرزين وشدة اتقانه وعلوّ شأنه في اللغة التي هي المنح التي يهبها خالق الإنسانية لمن اختاره لسفارة عباده، ولذلك فقد عدّل لسانه ﷺ وقوّم بيانه وأرهف منطقه، يقول حسّان جاد عن هذه البلاغة المعجزة: «إنها تتمثل في قمة إعجازها وتستجلي حكمته البالغة في المثل السائر والصائب، والكياسة الرشيدة والقيادة الحكيمة لأزمة النفوس الشاردة وأعنّة القلوب الجامعة»[1].

وهكذا نرى هذه النماذج البيانية في أروع صورها في أقواله وحواراته ورسائله وأمثاله، نبراس للبلغاء بها يستضيئون ونبع للفصحاء منها يرتوون، وهي في قمة الإعجاز الأسلوبي البشري.

لذلك قال بإعجازيته كثير ممن تصدوا لكلام الرسول ﷺ قال الماوردي: «لو كان به التحدّي كان معجزًا ولا يكون مع عدم التحدّي معجزًا»[2]. وقال الباقلاني« لا معنى لقول من أدعى ان كلام النبي ﷺ خير معجز و إن كان دون القرآن في الإعجاز » [3].ويرى مصطفى الشكعة على بشريته أنّه معجز إذا ما قورن بغيره[4].

فإذا كان القرآن معجزة الله في السماء والتي كان به التحدي فإنّ أقواله ﷺ معجزة في الأرض وإنّ القارئ لأحاديثه يستشعر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[5]. فهذا كتاب الله ينطق علينا بالحق و يتحدى بإعجازه. كافة الخلق، وهذا بحر النبوة يفيض بالدرارى و الآلئ و يزخر بالهديات البالغة و الحكم و الغوالي.... [6]

---

[1]-مقارنة بين أسلوب القرآن والحديث وتأثيرها في النفوس، حسن جاد، مجلة الأزهر،(1395هـ)، ص11.

[2]-أعلام النبوة، الماوردي، ص193.

[3]- إعجاز القرآن،ابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت384هـ) ت:عماد الدين أحمد حيدر.ط1.مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت،لنان.(1411هـ-1991م).(291/1)

[4]-البيان المحمدي، مصطفى الشكعة. ص524.

[5]-سورة النجم: 3-4.

[6]-مناهل العرفان في علوم القرآن،محمد عبد العظيم الزرقاني.دار الفكر (1401هـ-1988م) . (296/1-297)

2-الفصاحة والبلاغة النبوية:

حديث النبي ﷺ نص أدبي في الذروة من البيان لا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلاّ كتاب الله ﷻ بلاغةً وفصاحةً وبيانًا.

عندما نقرأ حديثه نحسّ من لين قوله وحلاوة عبارته ووضوح نفسه وهدوء صوته وراء لسانه عقلاً نقيًا وقلبًا ذكيًا مشوقًين مقبلين عليه مرتاحين له فما السرّ في ذلك؟.

إن كلامه ﷺ أشرف كلام بعد كلام الله ﷻ وهو المصدر الثاني للبلاغة، يقول أبو حيّان: «والثاني سنة رسول الله فإنها السبيل الواضح والنجم اللائح والقائد الناصح والعلم المنصوب والأمم المقصود والغاية في البيان والنهاية في البرهان والمفزع عند الخصام والقدوة لجميع الأنام»[1].

ولقد أوتي من الفصاحة والبيان ما لم يدانيه أحد فيها، إذا تكلّم أوجز وأطنب، تطرق إلى أبواب لا يحسنها سواه في عذوبة خلاّبة وأسلوب بديع واضح فصيح.

فهل درينا الناس مزية هذه الفصاحة؟ أكانت إكتسابا أم فضلا من الله ﷻ؟

ما من شك وكما سبق توضيحه من أن الكلّ من الله ﷻ ولقد ساندت في بنائها أقوى العوامل وتعاونت على إذكائها أبلغ المؤثرات. إذ نشأ في أفصح القبائل وخالط في حياته بطون قريش والأنصار، مع سمو الفطرة وقوتها، قال الرافعي: «إنّ هذه النشأة اللغوية النقية الخالصة التي صقلت موهبة الرسول ﷺ الفذة التي لا نظير لها. في المواهب البشرية، تقلّب في أفصح القبائل وأخلصها منطقا وأعذبها بيانا فكان مولده في بني هاشم وأخواله في بني زهرة ورضاعه في بني سعد بني بكر ومنشأه في قريش، ومتزوجه في بني سعد ومهاجرته إلى بني عمر وهم الأوس والخزرج من الأنصار...»[2].

كل هذا إعداد من الله لنبيه وتدعيما لفطرته، حتى يفقهوا قوله، فكان ﷺ في الصميم من بني هاشم من ملكوا زمام الفصاحة في العرب، واستبدوا بمزايا الأدب ولذلك كانت القبائل يتنافس عن تقليدها والأخذ عنها.

---

[1]-البصائر والدخائر، أبي حيّان التوحيدي (ت414هـ)، ط1، ت: إبراهيم الكيلاني، دمشق.(1964م)، ص14.

[2]-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي. ص285.

فمـــن فصاحته ظهرت الحكمة والرصانة وبعد النظر وقوة الحزم، وتفجرت منه ينابيع العلم والمعرفة، التي طأطأ لها البلغاء هاماتهم.

ولقـــد كان الرسول أفصح العرب، وأبا الحسن الماوردي يلتقط هذا الملحظ فيقول: «كان مـــن خصال رسول الله ﷺ.أنه أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا وأوجزهم كلاما وأجزلهم لفظا وأصحهم معان لا يظهر فيه هجنة التكلف ولا يتخللّه فيهقة التعسف»[1].

فما من شأن تحدث فيه ﷺ إلاّ كان أبين غرضًا وأصدق لهجة وأبلغ قولا وأروع أداء.

وعـــن هذا البيان الساحر والبلاغة النيّرة يقول الرافعي «إذا نظرت فيما صحّ نقله من كلام النبي ﷺ على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية... رأيته في الثانية حسن المعرض بيّن الجملة واضح التفضيل واضح الحدود جيد الرصف، متمكن المعنى واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراها ولا ترى اضطرابا ولا خطلا ولا استعانة من عجز ولا توسعا من ضيّق ولا ضعف في وجه من الوجوه»[2].

أما عن بلاغته ﷺ فهي من عجائب البلاغة وجواهر العربية مما لا يوجد في غيره والمتأمل في أقواله ﷺ يتحقق أنها صادرة عن قلب نبي لا عن قلب رجل عادي، «كلام قيل لتصير به المعاني إلى حقائقهـــا فهو من لسان وراءه قلب وراءه نور وراءه جلّ جلاله»[3]، إذ هي بلاغة نبوة لا بلاغة بشر، ممن يتوارثوها أو يكتسبونها اكتسابا. ويدعم هذا الزمخشري بقوله: «إنها بلاغة من صنع الله ومـــا كان من صنع الله تضيق موازين الناس عن وزنه وتقصر مقاييسهم عن قياسه،فنحن لا ندرك كـــنهه وإنما ندرك أثره، ونحن لا نعلم إنشاءه وإنما نعلم خبره... وهل يجسد في نفسه من أغوار البحر غير الشعور بالجلالة والروعة»[4].

فجوهر بلاغة النبي ﷺ لا يدرك ولا يعرف سره وإنما يستشعر أثره في النفوس، كما تصف

---

[1]-أعلام النبوة، الماوردي. ص191.

[2]-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي. ص ص334-335.

[3]-وحي القلم، مصطفى الصادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. (9/3).

[4]-الفـــائق في غريب الحديث، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ط1، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفصل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي، مصر.(1364هـــ-1945م). (123/1).

هذا عائشة أم المؤمنين ﷺ قائلة: «إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم»[1].

وإذا كان الجاحظ أظهر من تكلم في البيان فقد تحدث عن عيوب النطق وأفات اللسان وبترك الوحشي والسوقي، يصف بلاغة الرسول ﷺ «هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف... استعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته وقلة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصار... ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج.• إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة... ثم لم يسمع بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى من كلامه ﷺ»[2].

ففي قوله: «الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه» تبدو سمة البلاغة النبوية، وهي مراعاة شدة المقامات والأحوال، فيطيل حيث تجب الإطالة ويوجز حيث يجب الإيجاز، ولهذا وصفت بأنها الإيجاز وهي في أقواله ﷺ من جوامع الكلم أما قوله: «جل عن الصنعة ونزه عن التكلف» وهي ميزة أخرى بعيدة عن المتكلفين وصنعة المتصنعين، فإنك مع كلامه ﷺ لا تحس فيه أثرا للمعاناة أو التصنع مع بلوغ الغاية كان إعجاب الصحابة وتعجبهم من مسلكه، وفي الحق أن ذلك ناحية الامتياز الكبرى في بيانه ﷺ.

فإن اجتماع الكلام بقلة ألفاظه مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد وإطراد ذلك في كل معنى وفي كل باب لم يعرف لأحد قبله... ذلك كان توفيقا لا إقلالا وإصابة لا عجزا

---

[1]-صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري. مطابع كتاب الشعب، (1378). كتاب بدء الخلق، باب صفة النبي ﷺ. (231/4).

• أي: الفوز والظفر.

[2]-البيان والتبيين، أبي عمر بن محبوب الجاحظ (ت255هـ)، ط1، ت: علي أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، 1408 هـ، (12/2).

دليلاً على أنها بلاغة مبعثها الوحي[1].

كما يعني ذلك، أنه كان يخاطب غير القرشيين بلغتهم توفيقا من الله ﷻ ولذلك جاء كلامه في كل أحواله مناسبا لمقتضى الحال.

وكلامه ﷺ بعيد عن الوحشي والغريب النافر السوقي والبعيد المعقد ولذلك كره ﷺ التكلف والتقعير والإسهاب والفضول، وقد كانت ملاحظة الجاحظ دقيقة عند قوله: «لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم ولا بارت له حجه ولم يقم له خصم»، فلم تؤخذ عليه ﷺ هفوة يعبر بها، أو زلة لسان أو عثرة قدم تنقص مكانته، ولا كلمة غيرها أولى منها ولا جملة زادت أو نقصت عن حاجتها، ما استطاع أحد أن يأخذ عليه ذلك.

أضف إلى هذا استمساكه ﷺ في بيانه بالمثالية الخلقية، بأن يتقيد بالصدق والقول بما يعرفه الخصم إذا كان في مقام خصومه، فكان ﷺ لا يطلب النصر إلى بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز، فقد برئ من آفات وعيوب النطق والمنطق.

ولذلك نهى ﷺ عن التشدق: فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا» وقال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أخيركم أحسنكم خلقا»[2].

ومما يؤثر عن وصف صحابته لبلاغته ﷺ ما روي عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي عن حلية النبي ﷺ ... فقلت صف لي منطقه قال: «كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة، ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام، ويختتمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم، فضلًا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثا –سهولة الخلق– ليس بالجافي ولا المهين»[3].

إذ التفكير المتصل والسكوت الطويل وعدم الكلام في غير حاجة، جدير أن تنتبه له الأسماع إذا تكلم

وقد أرجع محمد رجب البيومي هذه الفصاحة والبلاغة إلى جدة أفكاره ﷺ.يقول: «إن قوة

---

[1]–الحديث النبوي، مقاصده، ألفاظه، معانيه، محمود النواوي.ص 434.

[2]–صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا، 15/8.

[3]–الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض. (ت 544ه). دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.(157/1).

أفكاره التي حطمت الأفكار العقائدية في النفوس، ونبتت مكانها عقائد أخرى، وإن جدة الأفكار النبوية فهي من المسلمات منطقيا، إذ أن كل نبي يأتي بالجديد لا محالة»[1].

وما يقال عن أسلوبه ﷺ فلا يملك المنصف إلا أن يرى أن لأسلوبه ﷺ طابعا فريدا يلوح في فنون أدبه وتضاعيف حديثه، أنه طابع الخلوص والقصد والاستيفاء، ويرى الرافعي... أن الخلوص يقصد به النفاذ إلى اللباب من طريق سهل يسير، وأن القصد هو الإيجاز الذي تحل فيه الكلمة محل جملة مترادفات وأن الاستيفاء هو وقوع الكلام تاما مبسوطا لا ينقطع دون الغاية[2].

ولذلك كان لخطابه تأثير في النفوس، فهو لم يتعمد الخطابة تعمدا و لم يسع إليها سعيا وإنما جـــرت في عروقه النابضة كما يجرى الماء في فروع الدوحة المزهرة، فإذا نطق فعن طبع أصيل وإذا خطب فعن رغبة واقتدار[3].

كما أن المتأمل في حديثه ﷺ يستخرج منه لآلئ منقرضة، وكلما أعاد النظر فيه ظهرت له أشياء جديدة لم تظهر له من قبل.

وإذا كـــان القـــرآن يضفي على الأثر الأدبي جمالا وروعة إذا استشهد به في موضعه، فإن الحديث النبوي قد شاركه في هذه الميزة، ولن يحتاج في مجال الحديث عن تسلسل البيان النبوي إلى غير الاستشهاد بقوله، دون تعليق، لئن النسق النبوي في أطراده المتسلسل وتلاحقه المتتابع لا يحوج إلى تنقيب فهو من وضوحه الساطع بحيث تغمره أشعة الشمس بأمواج الضياء»[4].

هـــذا قل من كثير، وهاهي الأيام تمر فتبلي كل جديد وفصاحته وبلاغته ﷺ لا تزال نضرة عذبـــة يبـــتهج بهـــا المتطلع إلى العلم والأدب، ويجد فيه البليغ ريا وشفاء، فقد أصبحت كلماته وعباراته مددًا لمن بعده. هذا ما أردنا توضيحه من تقديم شهادات واعترافات بقيمة الحديث النبوي والبيان النبوي ونحن ما قلناه غيض من فيض وقطرة في بيان المصطفى ﷺ .

---

[1]-ينظر: عنصر الفكرة في الحديث النبوي الشريف، محمد رجب البيومي، مجلة الأزهر، رمضان(1388هـــ)، ص ص577 -584.

[2]-ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، ص338-339.

[3]-من بلاغة النبوة، عناصر التأثير في خطاب الرسولﷺ . مجلة الأزهر، س33 رمضان. 1381هـــ، ص1079.

[4]-عنصر الفكرة في الحديث النبوي، محمد رجب البيومي، مجلة الأزهر، شوال 1388هـــ، ج8. ص636.

3-خصائص البلاغة النبوية:

إن المتتبع لأقواله ﷺ يلاحظ استخدامه لوسائل مختلفة وفنون متنوعة، وسنتعرض إلى خصائص البلاغة النبوية، وهي ليست حصرا.

3-1-الايجاز: عرف بعض القدماء الايجاز بأنه تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى وهو الغالب في أقواله صلى الله عليه وسلم. لماله من قوة في التعبير وامتلاء في اللفظ وشدة في التماسك. وما هو جلي ومعروف من الإيجاز في كلام النبي ﷺ أنه من جوانب الكلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال:«بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي» [1] فكل كلمة يسرة جمعت معاني كثيرة فهي من جوامع الكلم. «فلا ترى من الكلام ألفاظ ولكن حركات نفسية في ألفاظ... إن اجتماع الكلام وقلة ألفاظه، مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد ولا تكلف، ومع إبانة المعنى واستغراق أجزائه وأن يكون ذلك عادة وخلقا يجري عليه الكلام في معنى معنى وفي باب باب شيء لم يعرف في هذه اللغة لغيره ﷺ»[2]. ومن جواهر إيجازه ﷺ قوله:«إن من البيان لسحرا»[3].

3-2-الأمثال في البيان النبوي:

إن أهمية الأمثال في الحديث لا تقل أهمية عنها في القرآن الكريم لما لها من أثر بالغ في النفوس، وطبيعة التمثيل أقرب إلى التعليم والتربية، فنجد الرسول ﷺ يحث أصحابه على الصبر في الابتلاء فيشبه المؤمن الصابر بالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة، وتعدلها مرة، فعن عبد الله بن كعب عن أبيه عن النبي ﷺقال:«مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون إنجعافها مرة واحدة»[4].

وضرب الرسول ﷺ لأصحابه يوصيهم بحسن اختيار الرفيق، فعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«مثل جليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحديك

---

[1]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ بعثت بجوامع الكلم. (113/9).

[2]-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي. ص300.

[3]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الطب، باب إن من البيان سحرا. (179/7).

[4]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الطب. باب ما جاء في كفارة المرض، (149/7).

وإمـــا أن تبتاع منه وإما أن نجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن نجد ريحا خبيثة»[1].

3-3-خاصية التوجيه والتعليم في البيان النبوي:

لقد كانت توجيهاته ﷺ تسري في وجدانهم سريان الدم في الجسم لذلك فهموها وعقلوها وكان ﷺ المثل الأعلى في السلوك والتعليم، ولذلك استخدم عدة وسائل لتوجيه وتعليم الصحابة.

3-3-1-تصحيح المفاهيم:

كـــان ﷺ يصـــحح الأخطاء التي يقع فيها بعض الصحابة عن عائشة –رضي الله عنها– قالـــت. قـــال ﷺ «لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي»[2] وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»[3].

3-3-2-الاستعانة بالأحداث في التعليم:

كان الرسول ﷺيستعين في تعليمه بالمواقف الواقعية يستمد منها العبرة والحكمة لتوصيل الفكرة لأصحابه، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السب قد تحلب ثديها تسقى إذا وجدت صبيا في السبي فأخذته فألصقته بطنها وأرضعته فقال النبي : «أترون هذه طارحة ولدها في النار، قلنا لا؛ وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: لَلّه أرحم بعباده من هذه بولدها»[4].

3-3-3-التعليم والتوجيه باستخدام الأسئلة:

فعن عبد الله ابن عمر ﷺ أن رسول اللهﷺ قال:«إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم حدثوني ما هي، فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله فاستحيت فقالوا يا رسول الله أخبرنا بها، قال رسول الله ﷺهي النخلة» [5] فالمسلم كالنخلة.

---

[1]– صحيح البخاري، البخاري. كتاب العقيقة، باب المسك، (125/7).

[2]–صحيح البخاري، البخاري. كتاب الأدب، باب لا يقل خبثت نفسي. (51/8)

[3]–صحيح البخاري،البخاري. كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس. (118/8).

[4]–صحيح البخاري، البخاري.كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله. (9/8).

[5]–صحيح البخاري، البخاري. وكتاب، العلم .الحياء في العلم. (43/1).

صلب كصلابتها ومستقيم في سلوكه كاستقامتها وأعماله مثمرة كثمرها.

وعن حارثة بن وهب الخزاعي أن النبيﷺ قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر»[1].

3-4-خاصية التكرار في البيان النبوي:

التكرار سمة بارزة في أحاديثه ﷺ وهو يشي بمعان متباينة وكان ﷺ «يكرر ما يقوله للصحابة ثلاث مرات حتى يفهموا ما يقول فعن أنس ﷺ عن ﷺ أنه كان إذا سلم سلم ثلاثا، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا»[2].

وعن سعد عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ومن يا رسول الله؟ قال الذي لا يأمن جاره بوايقه»[3].

وقد حث الرسول ﷺ على طاعة الأم. فعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: « أمك قال: ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من ؟قال: أمك، قال ثم من؟ قال: ثم أبوك»[3].

3-5- خاصية الأصالة والابتكار:

وهي خصوصية اللفظ وطرافة العبارة ،تتجلى فيما كان ينهجه ﷺ من المذاهب البيانية ومن أمثلة ذلك ..فعن انس ﷺ عن النبي ﷺ قال:«رويدك يا انجشة سوقك بالقوارير»[4].

وعن عمر ﷺ سمع جابر بن عبد الله ﷺ قال.قال النبي ﷺ: «الحرب خدعة»[5].

وعن عائشة رضي الله عنها أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ:أينا أسرع بك لحوقا؟قال: أطولكن لكن يدا، فأخذوا قصبة يذرعونها فكانت سوداء أطولهن يدا، فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعها لحوقا به، وكانت تحب الصدقة»[6].

---

[1]-صحيح البخاري، البخاري.كتاب الأدب. باب الكبر. (24/8).

[2]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب العلم، من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم منه. (34/1).

[3]-صحيح البخاري، البخاري.كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوايقه. (12/8).

[4]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الأدب، باب باب المعا ريض مندوحة عن الكذب. (58/8).

[5]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة. (78/4).

[6]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الزكاة، باب أي الصدقة وصدقة الصحيح الشحيح. (137/2).

3-6- التصوير في البيان النبوي:

كان الرسول ﷺ يستخدم الإشارة والرسم في التصوير لتقريب المفهوم في خيال الصحابة -رضي الله عنهم-. حتى يفهموه، وذلك إما بالحركة الجسمية أو بالرسم البياني:

3-6-1-الاستعانة بالحركة والإشارة:

عن سهل بن سعد ﷺعن النبي ﷺ قال:«أنا و كافل اليتيم في الجنة هكذا».قال بأصبعيه السبابة والوسطى.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال«بعثت أنا والساعة كهاتين» يعني أصبعين [1].

وعن أبي بردة عن أبيه أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال:«إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» ثم شبك بين أصبعيه»[2].

3-6-2-الاستعانة بالرسم البياني:

فعن عبد الله ﷺ قال: خط النبي ﷺ خط مربعا وخط خطا في الوسط خارجا منه وخط خططا صغار إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال:

«هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو-قد أحاط به- وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطوط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا.»[3].

3-7- القصة في البيان النبوي:

كان يستعمل الرسول ﷺ القصة في كلامه، ومنها: عن أبي هريرة ﷺ قال النبي ﷺ: «اشترى رجل من رجل عقارا له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب. فقال له الذي اشترى العقار خد ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض. و لم ابتع منك الذهب وقال الذي له الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما إلى رجل. فقال الذي تحاكما إليه ألكما ولد قال أحدهما لي غلام، وقال الآخر لي جارية. قال انكحوا الغلام الجارية وانفقوا على أنفسهما منه

---

[1]-صحيح البخاري. البخاري . كتاب الطلاق، باب اللعان. (132/7).

[2]-صحيح البخاري. البخاري. كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره. (122/1).

[3]-صحيح البخاري. البخاري. كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله. (111/8).

وتصدقا»[1].

4-الدراسات البيانية للحديث النبوي الشريف

لقد ظفر الحديث النبوي الشريف بجهود ضخمة في نقده والتحري والدقة والتثبت من صحة نسبه إلى النبي ﷺ.

والحق أن أحدا من العظماء لم تغربل آثاره بموازين أدق مما صنع علماء المسلمين مع نبيهم ﷺ. وقد استطاع هؤلاء العلماء أن ينفوا عنه ﷺ الأحاديث الموضوعة.

فالفقهاء استنبطوا منها الأحكام، وعلماء الحديث فسروها وأدركوا ما فيها من هدى وحكمة ومثل عليا تسموا بالإنسان، وأهل اللغة استفادوا من ألفاظها وتراكيبها وصورها.

وأما المهتمين بالدراسات البلاغية فقد أخذوا يترسمون أثرها فيما أحدثت من معان وتعابير فصيحة وجمل خالدة وبيان ساطع.

وسأحاول عرض جهود الباحثين السابقين والمحدثين في الدراسة البيانية للحديث النبوي الشريف.

ونبدأ بالجاحظ (ت255هـ) الذي أطال الحديث فيما يختص بالبيان النبوي، وخصص له نصا مطولا في كتابه "البيان والتبيين"، وحاول دراسة الحديث من الوجهة البلاغية رغم صراعه مع أهل السنة والجماعة، كما تحدث في كتابه "حجج النبوة" عن دلائل النبوة في السنة القولية، وأثبت أن الحديث في أعلى الطبقات إذا ما قورن بكلام البشر.

أما أبو حيان التوحيدي فقد خصص جزءا كبيرا لدراسته من الوجهة البيانية ويمدح فيها مدحا رائعا فصاحة الرسول ﷺ كما أن له في كتاب "الإمتاع والمؤانسة" حديث عن بلاغته ﷺ وتأثيره في المتلقى والسامع نفسيًا.

ونلتمس تلك العناية عند أبي العباس بن يزيد المعروف بالمبرد (ت285هـ) في كتابه "الكامل" الذي زخر بفنون الأدب[2].

---

[1]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب بدأ الخلق، باب ما ذكر عن بني إسرائيل. (212/4) .

[2]-ينظر: الكامل في اللغة والأدب، أبي العباس محمد بن يزيد (ت285هـ)، مطبعة مصطفى محمد، مصر. (3/1)

ومـــن تلـــك الجهـــود مـــا كتبه أبو هلال العسكري (ت395هـــ) فقد أبدع في كتابه "الصناعتين" نصوص ما بين خطبة ورسائل وحديث وذكر طائفة من الأحاديث النبوية في الإيجاز والاستعارة.

ولعـــلّ العالم الوحيد الذي قدم دراسة طيبة وهو الشريف الرضى[1] (ت406هـــ) إذ جمع 360 حديثا وشرحها بأسلوبه.

ولكـــنه لم يلق عناية كبيرة من طرف الدارسين، يقول في مقدمة كتابه "المجازات النبوية": «هذا الكتاب المجازات النبوية يجمع كثيرا مما وقع في كلام رسول الله ﷺ من جوامع الكلام، شرط فيه جامعه أن يكون كل ما يأتي به من مختار كلامه ﷺ مشتملا على مجاز أو كناية دقيقة»[2].

ولكـــن ممـــا يؤخذ عليه، ذكره أحاديث دون الإشارة إلى سندها ودرجة صحتها في مجال البحـــث العـــلمي للحديـــث النبوي، إذ لم تظهر الدراسة التخصصية البيانية من قبل إلا في هذا الكتاب.

وكمـــا تحـــدث ابـــن رشيق القيرواين (ت463هـــ) عن المقاييس البلاغية في باب البيان والتمثيل والمجاز في أكثر من 60 صفحة[3].

وهـــناك عـــناية أكبر في كتب أخرى من حيث إيراد الشواهد والأمثلة الكثيرة من حديث رسول الله ﷺ وهذا ما نجده في كتاب "أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـــ). حيث

---

[1]-الشريف الرضى، هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، ولد سنة (388 هـــ) كان أحد الشعراء المتعلقين وممن لهم باع في علوم القرآن واللغة والنحو وقد أجمع العلماء على أنه أشعر قريش، توفي في جمادي الأول سنة أربعمائة وقيل سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد، ودفن في مقابر قريش. ينظر: وفيات الأعيان، لأبي العباس شمس الديـــن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608هـــ-681هـــ)، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت. ص ص.(4/ 414-420).

[2]-المجـــازات النـــبوية، الشريف الرضى (ت406هـــ)، ت: مصطفى محمود، مصطفى البابي الحلبي، مصر، (1356هـــ-1937م)، ص4.

[3]-العمدة في صناعة الشعر ونقديه، ابن رشيق القيرواني. (ت.463هـــ). ط.ت: أمين هندية، مصر. (1344هـــ-1965 م). (1/9-168).

ذكر أحاديث كثيرة في باب التجنيس وباب الاستعارة[1].

ويسوق ابن الأثير (ت622هـ) في كتابه "المثل السائر" ما يزيد على مائة وثلاثين حديث استخلصها من كلام النبي ﷺ وعرض في كل حديث لفن بلاغي أو أكثر برهن به على جودة الكلام وحسن مجيء الفن التعبيري في موضعه والبيان في موضعه، وقد أورد نماذج من الأحاديث في باب الاستعارة والتشبيه[2]، وتناول الكناية في الجزء الثالث من كتابه[3].

وامتداد لجهود أولئك العلماء في القديم نرى جمعا من العلماء المعاصرين يتناول الحديث من هذه الوجهة، فيدرس النص دراسة بلاغية محاولا استخراج صنوف البيان فيه، وأولى هذه المحاولات كانت لمصطفى صادق الرافعي (ت1937م) في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"[4] وكتابه "وحي القلم"، حيث وصف فيهما البلاغة النبوية، وأورد نماذج من الأحاديث تحتوي على الصورة البيانية ويعود له الفضل في الدرس البلاغي النبوي، لأثر دراسته على العلماء المعاصرين بعده.

ومن بين تلك الجهود ما جدده الدكتور عز الدين السيد في كتابه "الحديث النبوي من الوجهة البلاغية"، وأورد نماذج طبق عليها القواعد البلاغية.

ولعلّ أهم هذه المحاولات والتي قام بها الدكتور مصطفى الصباغ في كتابه "التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف"[5] وقد أورد نماذج وقام بدراستها دراسة تحليلية، و لم يكن همه تبيان هذه الصورة فقط، وإنما اتسع فهمه لجماليات تلك الصور وفنياتها.

ولا ننسى جهود طائفة من العلماء في إثارة البحوث في مجال البيان النبوي مثل كتاب "البيان النبوي" للدكتور رجب البيومي، وكتاب "من كنوز السنة" لمحمد علي الصابوني، وكتاب

---

[1]-ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، ط2ن ت: محمد الإسكندراني، د.م، مسعود، دار الكتاب العربي، بيروت، (1418هـ-1998م)، ص18-61. وينظر: ص192.

[2]-ينظر: المثل السائر، ابن الأثير ضياء الدين. (ت: 622هـ)، ط1، ت: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار الرافعي، الرياض، (1403هـ-1987م).(2/87-385).

[3]-ينظر: المثل السائر، ابن الأثير. (3/64-75)

[4]-ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي. (ت1937م). ص ص279-343.

[5]-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، مصطفى لطفي الصباغ. المكتب الإسلامي، ط1، بيروت.(1988م). ص79.

"روائـــع من أقوال الرسول ﷺ" لعبد الرحمن حسن حنبكة. وكتاب "من بلاغة الحديث الشريف" لعبد الفتاح لاشين. وكتاب "الخصائص الفنية في الأدب النبوي" لمحمد بن السعد الدّبل.

ولا أرى مـــا يدعوا إلى مناقشة شيء مما أفاضوا فيه فسيأتي ذلك في ثنايا هذا البحث كثيرا من الشواهد لهم ولغيرهم.

إن عناية العلماء بالحديث النبوي الشريف في هذا المجال لم تنقطع عبر العصور وكلها جهد عـــلمي عميق فتح مغاليق الأسرار الجمالية، وأبان الخصائص البلاغية التي امتاز بها الحديث فأغرى العلماء في كل عصر ومصر بالمضي في دراسته.

ويمكن أن يختم هذا المدخل بما ختم به الرافعي حديثه عن البلاغة النبوية إذ قال: «على أننا إن كنا قد عجزنا ووعدنا الكلام أكثر مما أنجزنا فلا ضير أن نصف النجمة في سراه وإلا لم تستقر في ذراه ونستدل بما رأينا منه وإن لم ننفذ فيما واراه.وإذا حضر الفكر الضئيل في مثل هذه الحقيقة الضارية. فقل إنها خطرة ضيف وإذا اجتمع للقلم سواء في تلك السماء العالية فقل إنما هي سحابة صيف. ولعمر الله كيف نضرب للغاية على تلك البلاغة التي لاتحد. وكيف نمضي بعد أن كلّ حدّ الفكرة ووقفنا عند هدا الحد ! »[1].

فالبلاغة النبوية هي المثل الأعلى للبلاغة العربية، والفصاحة صفة محمد ﷺ وحده.

[1]-إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي. ص 342

الفصل الأول:

التشبيه في الحديث النبوي الشريف

المبحث الأول: التشبيه التمثيلي

المبحث الثاني: أبعاد ومعاني التشبيه التمثيلي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة

لقـــد فطـــرت النفوس البشرية على حب الجمال الذي آخذ بمجامعها، فانساقت لروعته، ومالـــت إلـــيه لما فيه من المتعة. وهذا ما نجده في الأمثال والتشبيهات التي كثر ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية.

والتشبيه بما فيه من مسحة جمالية يمتع النفوس، ويدفع عنها السآمة والملل ولا شك أن ذلك أدعى إلى قبول ما يلقيه المتكلم والتأثر به، فالنفس البشرية مفطورة على حب الجمال والميل إليه[1]، كما أنه «يستعمل بهدف التأثير في العاطفة فترغب أو ترهب»[2].

والناظر إلى تشبيهات رسول الله ﷺ يجدها قد وردت في أروع صوره، وأزهى حلّه، وأقوم عـــبارة تحدد الهدف وتجلى القصد، وتجذب انتباه السامع وتثير إعجابه، فهي جزء منه، ومعظمها يرجع إلى روح القرآن وصوره البيانية التي أعجزت العالمين.

وهذا ما سنتعرض عليه في هذا الفصل، بضرب الأمثلة للفصاحة المحمدية، في استعمال هذا الضرب من البيان وقد فصلت ذلك في مبحثين:

1-بلاغة التشبيه التمثيلي

2-أبعاد ومعاني التشبيه التمثيلي.

---

[1]-ينظر: أسرار البلاغة، الإمام عبد القاهر الجرجاني. (ت471هـ)، ص ص92-96.

[2]-التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين. ط1. دار الشروق، بيروت. (1400هـ-1980م). ص194.

المبحث الأول: بلاغة التشبيه التمثيلي.

أولا: مثل الهدى والعلم.

1-نص الحديث الشريف.

عـــن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِـــيرِ أَصَـــابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَةٌ قَبِلَتْ المَاءَ، فَأَنْبَتَتْ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ وكَانَتْ مِنْهَا أجـــادب أَمْسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَاسَ فَشَرِبُوا وَسَقُوا وَزَرَعُوا وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ. وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**»[1].

2-شرح إجـــمالي للحديث

هـــذا مثل للنبي ﷺ في إبلاغه عن الله ﷻ، ودعائه إلى سبيله وأنه بعث رحمة للعالمين، ومثل لمـــا جـــاء بـــه من الدين بالغيث العام الذي يأتي الناس حال حوجهم إليه، ثم شبه المبعوث إليهم بالأرض المختلفة، فمنهم من علم وعمل وعلّم، فهو كالأرض النقية شربت من المطر وحييت بعد موتها وأخصبت فنفعت، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه، غير أنه لم يعمل به، ولكنه أداة إلى الغـــير فهو كالأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع بها الناس دونها، ومنهم من ختم الله على سمعه وقلـــبه وجعل على بصره غشاوة فلم يلتفت إلى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من الهدى والعلم فهو كالأرض الصماء الملساء المستوية التي يمر عليها الماء مر السحاب فلا انتفاع ولا نقيع»[2].

---

[1]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب العلم، باب: فضل من علم وعلّم. (30/1).

[2]-هدايـــة الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، عبد الرحيم عنبر الطهطاوي. ط5، الرائد العربي، لبنان، بيروت. (1302 هـــ-1982م). (192/2)

قال البدر العيني: «ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلا، أي شبهه بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه ﷺ فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، وشبه السامعين له بالأرض المختلفة التي تنزل بها الغيث فمنهم العالم المعلم فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأثبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أداه لغيره فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأرض السبخة التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها»[1].

3-الدراسة اللغوية.

معاني المفردات:

المثل: مثل كلمة تسوية يقال هذا مِثْلُه ومَثَلُهُ كما يقال شبِهْه وشَبَهْه[2].

الهدى: بضم الهاء وفتح الدال، الرشاد والدلالة[3] والهدى خلاف الضلالة[4].

غيث: اسم عام للمطر يغيث الله به عباده، تقول منه غيثت الأرض فهي مغيثة[5].

أجادب: جمع أجدب الذي هو جمع جدب وهو القحط[6]مثل كلب وأكلب، وجلب خلاف الخصيب[7].

---

[1]-عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، ابو محمد بدر الدين محمود بن أحمدالعيني.ت(855) ، دار الفكر. (80/2)

[2]-معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن زكريا. ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي.مصر.مادة (مثل). (296/6)

[3]-القاموس المحيط، الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب. ط2. (403/4).

[4]-معجم مقاييس اللغة، مادة (هدى)، (46/6).

[5]-لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، مادة (غيث)، (3323/4). وينظر: المصدر السابق، مادة (غيث)، (403/4).

[6]-المرجع نفسه، مادة (جدب)، (558/1).

[7]-مقاييس اللغة، مادة (جدب)، باب: الجيم والحاء وما يماثلها، (435/1).

كلأ: العشب رطبه ويابسه وهو الحشيش[1].

قيعان: القيعة جماع القاع، والقاع من الأرض، المنبسطة التي لا تنبت كلأ ولا تمسك الماء. قال الأصمعي **قاعة الدار ساحتها**[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور. مادة (كلأ).(3910/4).

[2]-إرشـــاد الســـاري لشرح صحيح البخاري، محمد بن محمد بن محمد القسطلاني (ت923هـــ). وبهامشه صحيح مسلم بشروح النووي. ط7. كتاب الفضائل. باب: بيان ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم. دار الكتاب العربي. بيروت، لبنان. (139/9)

مخطط بيان حالات الناس في الانتفاع بالهدى والعلم

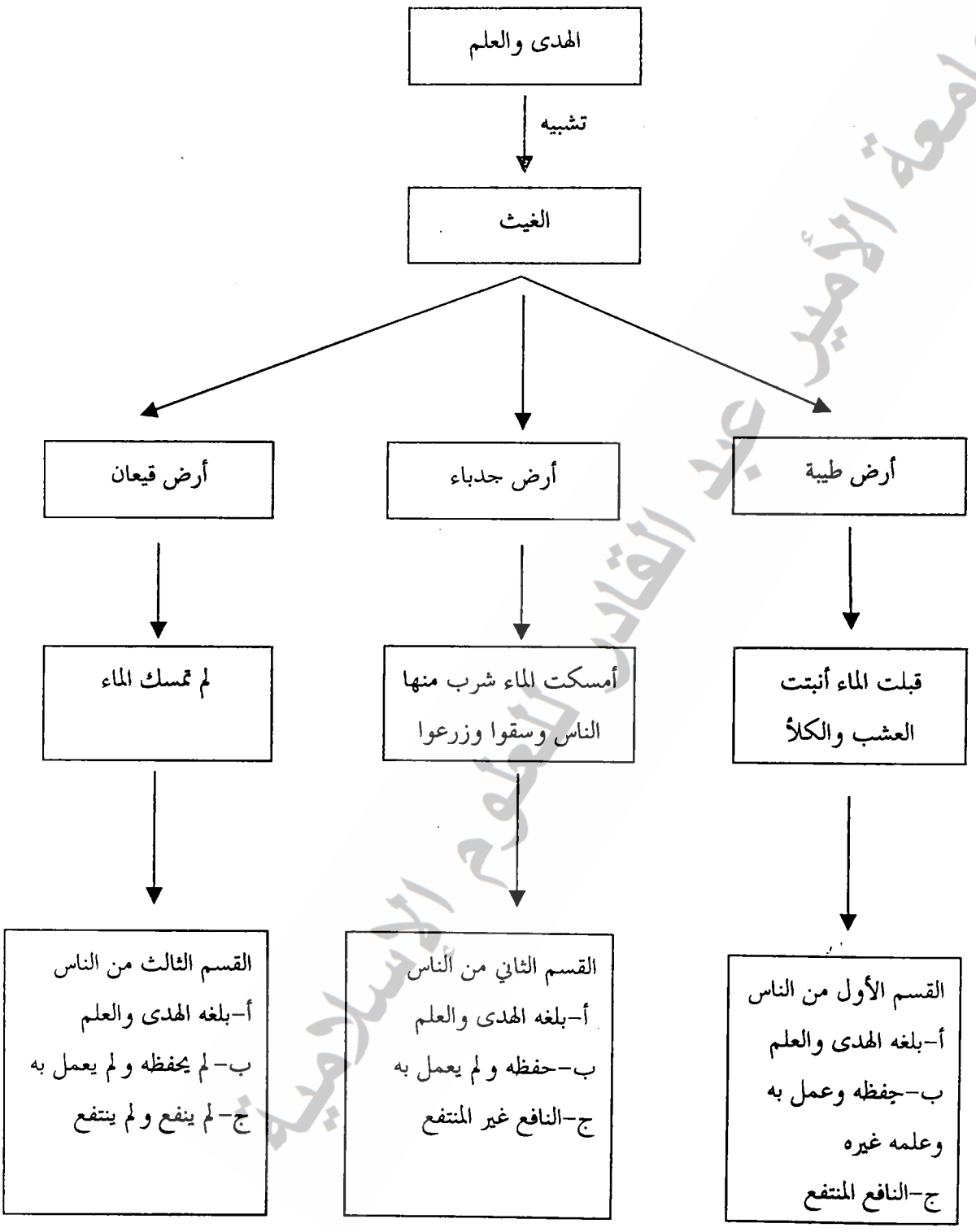

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: مثل الرسول ﷺ:

1-نص الحديث الشريف

عن أبي موسى ﷺ.قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ النَاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوقَدَ نَـارًا فَلَمَـا أَضَاءَتْ مَا حَولَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وهَذِهِ الدَوَابُ التِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَحْجُزْهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا**»[1].

2-شرح إجمالي للحديث:

هـذا مـثل عظيم للنبي ﷺ يبين فيه صفة ما بعثه الله تعالى به لإرشاد عباده لما ينجيهم مما يـرديهم في هوة الشقاء، وصفة ما طوعت لهم أنفسهم من التمادي على الغواية المفضية إلى تلك الغايـة «كصـفة رجـل أوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعلت تلك الحشرات تقع فيها، وهو يذودهـن عنها، شبه تساقط المخالفين في النار...وحرصهم على الشهوات لظنهم المنفعة فيها مع مـنعه لهـم منها باقتحام الفراش في نار الدنيا لاغتراره بظاهر ما يراه من الضوء»[2]، كما صور القـرآن هـذه الحالـة في قوله تعالى: ﴿يَـوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[3]، قال الإمام السـيوطي: «شـبه تساقط الجهلة والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحرصهم على الوقـوع فيها مع منعه ﷺ بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه وعدم درايته بحر الدنيا ولو علم لم يدخلها، بل ظن أن ضوء النار بريحه من ظلام الأمم في حجر الأنباء كالصبيان الأغبياء في أكناف الأباء...»[4].

---

[1]-صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: الانتهاء من المعاصي. (127/8).

[2]-هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، عبد الرحيم عنبر الطهطاوي. (190/2).

[3]-القارعة: 4.

[4]-فيض القدير شرح جامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي (ت1031ه). ط2، دار المعرفة. لبنان، بيروت. 1391هـ. (5-518).

3-الدراسة اللغوية:

3-1- معاني المفردات:

استوقَدَ: الواو والقاف والدال، كلمة تدل على اشتعال النار[1].

تقتحمون: أي تقعون فيها، يقال اقتحم الإنسان الأمر العظيم وتقحمه[2].

يقال: قَحَمَ في الأمور قحومًا، رمى بنفسه فيها من غير درجة[3].

يحجِزهُنَ: الحاء والجيم والزاي أصل واحدٌ مطرد القياس، وحجزه منعه وكفه[4].

وأصل الحُجْزَة موضع شد الإزار، وحجزة السراويل، موضع التكة[5].

---

[1]-معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن زكريا. مادة (وقد). (132/6).

[2]-لسان العرب، ابن منظور. مادة (قحم). (3539/5).

[3]-معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن زكريا. مادة (قحم). (61/5).

[4]-القاموس المحيط، الفيروز أباداي. (26/1).

[5]-لسان العرب، ابن منظور.مادة (حجز). (786/4). ومعجم مقاييس اللغة. أبي الحسن زكريا. مادة (حجز). (139/2).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بيان تمثيلي لمثل الرسول ﷺ

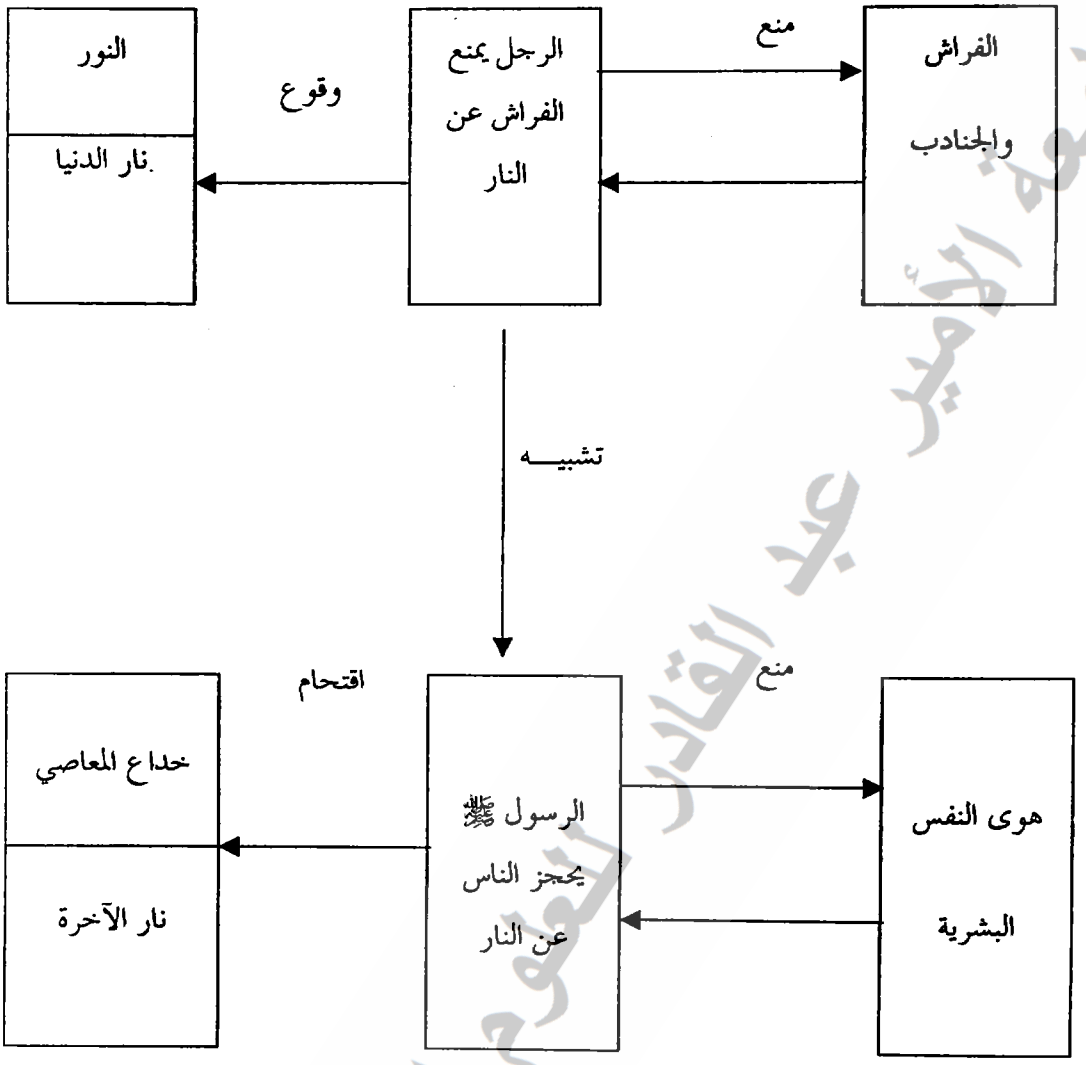

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: مثل القائم على حدود الله

1-نص الحديث :

عن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:

«مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوا مِنَ المَاءِ، مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُم، فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُم وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوا وَنَجُوا جَمِيعًا»[1].

2-شرح إجمالي للحديث:

هذا مثل عظيم يشبه فيه الرسول ﷺ حال الناس، وموقفهم مما يكون في المجتمع من منكرات بحال قوم ركبوا سفينة فاقتسموا أماكنهم فيها بطريق القرعة، فكان من نصيب بعضهم الجزء الأعلى من السفينة، وكان من نصيب الآخرين الجزء الأسفل منها، وكان لا بد لأهل السفل من الماء فكانوا يصعدون لأعلى السفينة ليستقوا الماء، ولما كان ممرهم على أهل العلو تأذوا بهم، فلما رأى أهل الأسفل تأذي أهل العلو بهم عزموا على أن ينقبوا في نصيبهم نقبا يحصلون منه على الماء.

ويبين الرسول الكريم ﷺ أن الأمر لا يخلو حينئذ من إحدى نتيجتين:إما أن يقوم أهل العلو بواجبهم في منع هذه الكارثة فينجو الجميع، وإما أن يتركوهم وشأنهم بدعوى أن هذا نصيبهم فعلون فيه ما يشاءون وحينئذ تكون النتيجة الحتمية هي هلاك الجميع والحديث الشريف يبين أنه هكذا تكون حالة الناس في المجتمع بإقامة واجبهم اتجاه إنكار المنكرات وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه وإلا هلك العاصي بمفارقة المعصية والمتقاعد الساكت بالرضا بها[2] قال الحافظ:«وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه، وإلا هلك

---

[1]-صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات. (225/3).

[2]-هداية الباري إلى ترتيب البخاري، عبد الرحيم عنبر الطهطاوي. (186/2).

العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها[1]»

3-الدراسة اللغوية:

-معان المفردات:

حـــدود الله: المـــراد بـــالحدود هنا ما نهى الله عنه، وأصل الحد في اللغة المنع والفصل بين الشيئين، ومنه حد الدار وهو ما يمنع الغير من الدخول فيها، والحداد الحاجب والبواب[2].

المدهن: من الإدهان وهو المصانعة والمحاباة في غير حق[3].

خرقنا: الخرق هو الشق أو الثقب[4].

استهموا: اقترعوا، والسهم في الأصل واحد السهام التي يضرب بها في المسير وهي القداح، ثم أطلق على ما يأخذه الفائز في الميسر، ثم كثر حتى سمي كل نصيب سهما[5].

---

[1]-فـــتح الباري، شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1302هـــ. (5/ 225).

[2]-مقاييس اللغة، أبي الحسن زكريا. مادة حد (3/2)، لسان العرب، ابن منظور. مادة (حدد)، (799/2م).

[3]-لسان العرب، ابن منظور. مادة (دهن). (1446/2). القاموس المحيط، الفيروز آبادي. مادة (دهن). (224/4)، ينظر: مقاييس اللغة، أبي الحسن زكريا. باب دهن. (308/2).

[4]-لسان العرب، ابن منظور.مادة خرق.(114/2). ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابي الحسن زكريا. مادة خرق. (172/2).

[5]-معجـــم مقاييـــس اللغة، أبي الحسن زكريا. مادة سهم. (110/3). ينظر: لسان العرب، ابن منظور. مادة سهم. (3/ 2135).

مخطط بيان لمثل القائل في حدود الله

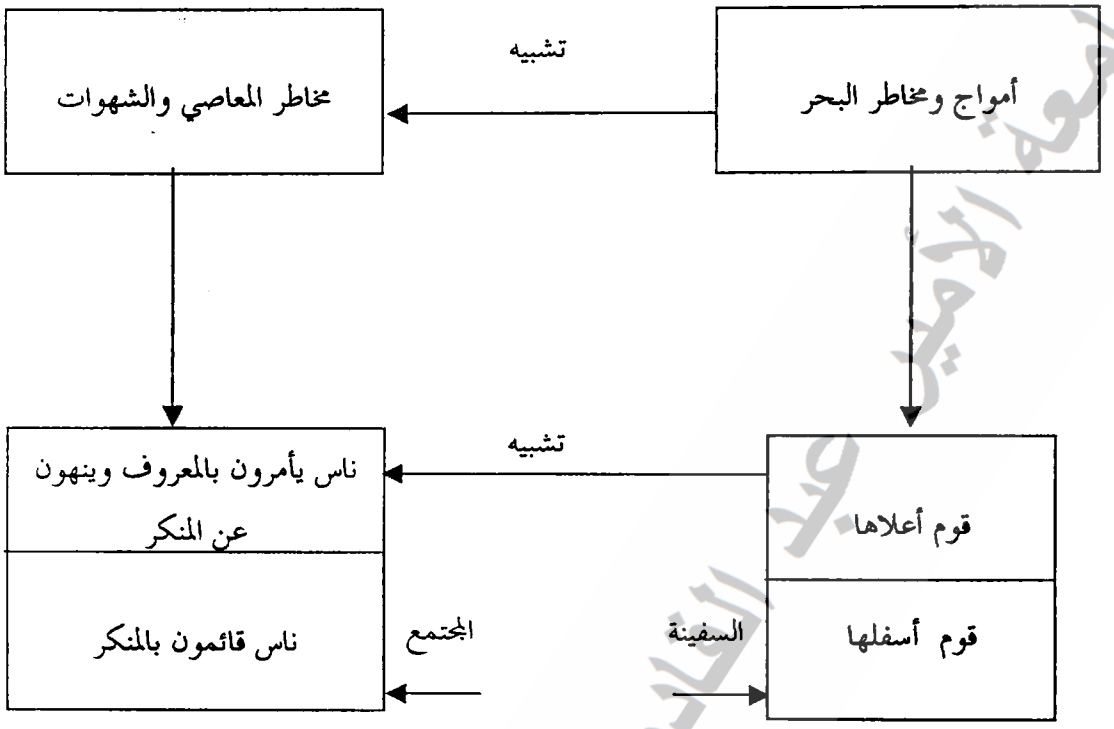

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: أبعاد ومعاني التشبيه التمثيلي.

أولا: القيمة الجمالية في المثل النبوي:

قال ابن المقفع عن المثل «إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث»[1]، وقد اتفق العقلاء على شرف قدر التشبيه وفخامة أمره في فن البلاغة وأن تعقيب المعاني به، لا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما أو افتخارا أو غير ذلك وأجدر بأن يجلي الغاية ويبصر الغاية ويبرئ العليل ويشفي الغليل[2].

ومن أجل هذه الفوائد كان ﷺ كثيرا ما يضرب الأمثال ويشبه الشيء بالشيء ترغيبا وترهيبا ودعوة إلى الله ﷻ ومن ذلك هاته الأمثلة التي بين أيدينا.

ففي الحديث الأول نلحظ القدرة على تناول التشبيهات النبوية التي لا تتطلب أعمال الفكر وكذا الذهن في استخلاص التشبيه وطريقة فهمه وفي أسلوب سهل «يصور أحوال الناس مع شريعة الإسلام فيجعلهم طائفتين ويجعل الأولى في نوعين نافعة منتفعة على وجه الكمال ونافعة على وجه الكمال منتفعة على وجه النقص أما الثانية فهي غير نافعة وغير منتفعة»[3].

ولقد زاد هذا التشبيه المراد وضوحا وجمالا إذ أنه شبه الأمر المعقول وهو الهدى والعلم بأمر محسوس وهو الغيث وذلك في صورة تشبيهه بالغة الروعة أبرزت أصنافا ثلاثة من الناس وأصنافا ثلاثة من الأرض.

فرحمته ﷺ للناس شبيهة برحمة الغيث للأرض قال الرامهرمزي: «إنه بعث رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم ومثل ذلك بالغيث الذي ينشر الله به رحمته في الأرض ويحيي به الأنعام والحرث، والذين استمعوا قوله وشاهدوا أمره في اختلاف مذاهبهم وطرائقهم ببقاع الأرض التي يختلف ترابها وأماكنها، فمنها ذات الرياض العشبة الكثيفة

---

[1]-نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري. (ت733هـ).دار الكتب. (3/3).

[2]-أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني. ص ص92-96.

[3]-الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، عز الدين كمال. ص67.

الـــتي يكثر خيرها ويعم نفعها، ومنها الأماكن ذات العياض والغدران والنقر والقلات، وغير ذلك مـــن الأماكن التي ينتقع فيها الماء فيرد إليها الناس والأنعام، ومنها ما لا يتعلق من المطر إلاّ بمروره علـــيه وهو مثل لمن فقه عن الله ﷻ وتفقه كما أمر به الرسول ﷺ فعلم وعلّم ومثل للحامل علمه إلى من هو أوعى منه»[1].

والتشـــبيه في الحديث لم يأت مجردا بل صاحبته وسيلة محسوسة مما يشغل حيزا من اهتمام الناس، ولقد تعددت التشبيهات في الحديث منها، تشبيه ما جاء به النبي ﷺ من الدين بالغيث العام الـــذي يـــأتي الناس في حالة حاجة الناس إليه وتشبيه السامعين له بالأرض المختلفة فالأول تشبيه المعقـــول بالمحسوس والثاني تشبيه المحسوس بالمحسوس، وجاء في الفتح الرباني: «أن النبي ﷺ ضرب مثلا لما جاء به من الدين والعلم بالغيث العام أي المطر الكثير الذي يأتي الناس في حال احتياجهم إلـــيه، فكما أن الغيث يحي البلد الميت، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي يترل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم فهو بمترلة الأرض الطيبة التي قبلت المـــاء، وانبتت الكلأ ومنهم الجامع للعلم، غير أنه لم يعمل به ولا اجتهاد له في الطاعة فهو يحفظه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عنده من العلم فيأخذه منه فينتفع به وينفع غيره، فهذا الذي جمع العـــلم و لم يعمل به بمترلة الأرض الملساء التي أمسكت الماء و لم تنبت الكلأ فينتفع منها بالشرب، ومنهم الطائفة الثالثة المذمومة التي لم تقبل هدى الله تعالى و لم ترفع به رأسا، فهي كالأرض التي لم تمسك الماء و لم تنبت الكلأ و لم ينتفع به»[2].

وعـــلى الـــرغم من وجازة الحديث فقد ساقه الرسول ﷺ وعبر عنه بتحقيق تشبيهين كل منهما يؤدي معنى مختص، فالناس في الحديث قسمين قال الخطابي «هذا مثل ضرب لمن قبل الهدى وعلم ثم علّم غيره فنفعه الله ونفع به ولمن لم يقبل الهدى فلم ينفع بالعلم و لم ينتفع به»[3].

---

[1]-كتاب أمثال الحديث، الرامهرمزي. ط1. مؤسسة الكتب الفقهية. لبنان، بيروت. (1409هـ-1977م)، ص ص29-30.

[2]-الفتح الرباني مع شرحه بلوغ الأماني، أحمد عبد الرحمن البناء. كتاب العلم، باب: فضل من علم وعلم. بيروت، لبنان. (1/146).

[3]-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري،القسطلاني. بهامشه شرح مسلم للنووي. ط7، كتاب الفضل، باب: ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم. (9/140).

ولكن العيني رأى خلاف ذلك فالناس في التشبيه ثلاثة أقسام قال: «في الحقيقة فالناس على ثلاثة أقسام فمنهم من يقبل بالعلم بقدر ما يعمل به و لم يبلغ درجة الإفادة، ومنهم من يقبل ويبلغ، ومنهم من لا يقبل»[1]، وأيده في ذلك الكرماني في الشرح بأن جعل قسمة الناس على ثلاثة بأن يقدر قبل لفظة "نفعه" كلمة "من" بقرينة عطف على من فقه كما قال حسان ﷺ:

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

إذ التقدير ومن يمدحه وينصره[2].

وقد وصل هذا التمثيل إلى نهاية الإبداع وقوة التأثير في النفوس، كيف لا وقد أبرز المعقولات في معرض المحسوسات الجلية. إنّ هذا المثل الأدبي الرائع قد جلى المعاني الخاصة بالانتفاع بالهدى والعلم جلاء مؤثرا إنك لتبحث عن نضير لهذه الصورة النبوية في كلام البشر فلا تجدها، ولكنك تجد مثلا لها وأقوى منها في قول الله ﷻ: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[3].

فالانتفاع بالماء عند قوم وضياعه هباءً عند آخرين في الصورتين القرآنية والنبوية معا مما قوى به المثلان قوة مؤثرة.

والحديث في جملته أن الناس يختلفون في المنازل، فالفريق الأول هو الذي قال الله فيه ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[4]، والفريق الثاني هو الذي قال الله فيه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[5]، أما الفريق الثلاث هو الذي قال الله

---

[1]-عمدة القارئ، البدر العيني، (78/2).

[2]-صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني.ط2.دار إحياء التراث العربي.بيروت،لبنان. (58/1).

[3]-سورة الرعد: 17.

[4]-سورة فصلت: 44.

[5]-سورة البقرة: 44.

فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، هذا إذا أخذنا التشبيه في الحديث من تشبيه المركب بالمركب ويجوز أن يكون من قبيل التشبيه التمثيلي وبه قال الكرماني «تشبيه صفة العلم الواصل إلى أنواع الناس من جهة اعتبار النفع وعدمه بصفة المطر المصيب إلى أنواع الأرض من تلك الجهة»[2].

وقد أرشدنا هذا التشبيه البليغ إلى أهمية التعليم وفضله على مجرد العلم وعن طريق الوسائل المحسوسة المشاهدة يؤكد لنا ﷺ فضل الهدى النبوي وأن الناس يختلفون في المنازل من جهة قبوله وأن المنتفع أخذ بحظ وافر من الخير.

والناظر إلى التصوير الدقيق وجماله المبدع في الحديث الثاني يجد صورة حاله ﷺ وحال بعض الناس الذين ينير لهم الطريق ويهديهم إلى الصراط السوي فينصرفون عنه إلى المهالك إنها مشاهد حية تدفع إلى التفكير البعيد، فيما بين المشبه والمشبه به صورة ملموسة نراها بأعيننا ونتلمسها بأيدينا، وعن هذه الجمالية قال الغزالي –رحمه الله–: «التمثيل وقع على صورة الإكباب على الشهوات من الإنسان بإكباب الفراش على التهافت في النار، لكن جهل الآدمي أشد من جهل الفراش، لأن باغترارها بظاهر الضوء أحرقت نفسها وفنيت حالا. والآدمي يبقى في النار في مدة طويلة أبدا»[3]. وقال القاضي عياض: «هذه موعظة لبعض من أجابوا الدعوة ويحتمل أن يكون وعيدا لمشركي قريش»[4].

ولأن في الحديث استشعار بالحذر حتى يأخذ كل إنسان حذره فلا بد أن تكون الصورة قريبة حتى تحرك النفوس وهذا ما جاء في الحديث قال الكرماني: «مثل لهم ذلك بما شاهدوه من الأمور ليقرب ذلك من أفهامهم فمثل اتباع الشهوة المؤدية إلى النار بوقوع الفراش الذي من شأنه أن يتبع ضوء النار ليقع فيها يضن أنها لا تحرقه»[5].

---

[1]–سورة البقرة: 6.

[2]–صحيح البخاري شرح الكرماني، (55/2).

[3]–فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوى. (518/5).

[4]–أمثال الحديث، القاضي أبي الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهر مزي. (28/1).

[5]–صحيح البخاري، شرح الشوكاني. كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي. (08/23).

وهذه صورة معهودة تثبت المعنى المراد بها أشدّ وأقوى وهكذا يلتقي الغرض الديني بالغرض الفني كالشأن في جميع الصور التي يرسمها الحديث ونضير هذا في القرآن قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾[1].

وهذه الرحمة تتجلى صورتها في تقابل بين قوله ﷺ :

وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها

وفي قوله ﷺ:

فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها

ولـيس المهم لدينا في هذا المجال دقة التشبيه وصدقه وإنما المهم أولا هو هذه الصورة القلقة المتحركة الموشكة في الخيال على الزوال ولو استطاعت ريشة المصور بالألوان أن تبرز هذه الحركة المتخـيلة في صـورة صامتة لكانت براعة فحسب في عالم التصوير والمصور يملك الريشة واللوحة والألـوان وهـنا ألفاظ فحسب يصور بها القرآن والحديث رحمة الله تعالى ورسوله ﷺ نحو هذا الإنسان الضعيف، وفي الحديث تأكيد هذا المعنى الذي يمتلأه الخيال لتدل أعظم الدلالة على رحمته ﷺ في قوله في هذا التقابل بين ثبوت الصراع وتجدده زيادة حرصه ﷺ.

إن المؤمـن الـذي امتلأ قلبه بحب الرسول ﷺ وهذا الود والحنان يجعل النفوس تقبل على الطاعـات مـبالغة فيها مؤذية عن طواعية ورغبة، هذه صورة نبوية رائعة تتبعها بغيرها في مجال التشريع وعن جمالية التشبيه في حديث السفينة قوله ﷺ: «مثل القائم على حدود الله...»، تشبيه معقول بمحسوس وقد ركز الحديث على أسلوب التمثيل بالصور المادية المحسوسة، وذلك أوقع في الـنفس وادعـى لرسـوخ المعنى وسرعة تصوره وامتداد أثره والاهتمام به، فلفظة "الحدود" هي العقوبـات المقدرة الرادعة من المحارم المغلظة ومن هذا الحديث قوله ﷺ «إني آخذ بحجزكم اتقوا النار، اتقوا الحدود قالها ثلاث»[2].

---

[1]-سورة آل عمران: 103.

[2]-جامع العلوم والحكم، ابن أحمد بن رجب الحنبلي. ط2. مصطفى البابي الحلبي. (1369هـ-1950م). ص247.

وجـــاءت روايـــة البخاري في كتاب الشهادات بلفظ المداهن قال القسطلاني: «هذا غير مســـتقيم لأن المدهن ليس مقابلا للواقع في الحدود، وإنما هو داخل في حكمه فلا يكون هنا توافق بين الممثل له والممثل به»[1].

وقـــد قـــال الحافظ في الفتح: «اقتصر على ذكر المداهن والقائم وبعضهم اقتصر على ذكر الواقع في الحدود والقائم عليها وبعضهم ذكر الثلاث أما الجمع بين المدهن والواقع دون ذكر القائم فلا يستقيم وعلى هذا فتكون هذه الرواية»[2].

وفي الحديـــث تشبيه الهيئة الحاصلة من قيام المسلمين بواجبهم بتغير المنكر بحال أهل السفينة بمـــن يـــريد خرقها، كما شبهت الهيئة الحاصلة بين التقاعس عن تغيير المنكر بحال أهل السفينة إن تركوا من يريد خرقها ووجه الشبه في الحديث منتزع من متعدد، قال عبود منشاوي: «هو تشبيه حال المسلمين القائمين منهم على الحدود والواقع فيها والساكت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحال قوم شركاء في سفينة تنازعوها فاستمروا على قسمتها فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فأراد من أسفلها خرقها تيسيرا للحصول على الماء و لم يجدوا بأسا من ذلك على اعتبار أنهم يتصرفون في خالص نصيبهم، فإن منعهم من هم في أعلى السفينة من هذا التصرف نجا الجميع وإن تـــركوهم ومـــا أرادوا هلـــك الجميع، والجامع هو الهيئة المنتزعة من اجتماع نافع وضار في محل واحد»[3].

والحديث جاء في قالب ما يكون إلى هيئة القصة التمثيلية وأن الناظر إلى هذا المثل يجده مليئا بالحـــركة والحيوية والمشاهد المتابعة فها هم القوم مقبلون على ركوب سفينتهم وهاهم يقتسمون أماكنهم بالقرعة، ثم بعد أن يستقر كل فريق في موقعه يظهر مشهد آخر فيه أهل السفل متجهين إلى أعـــلى السفينة يحملون الماء ثم يعودون به إلى أماكنهم ثم يبدوا لنا مشهد أهل العلو وقد تأففوا مما أصابهم من مرور القوم عليهم، ويظهر أنهم كانوا يتعرضون لقطرات من الماء تنصب عليهم، ثم

---

[1]-إرشاد الساري لصحيح البخاري، القسطلاني. كتاب الشهادات. باب القرعة في المشكلات وقوله إذ يلقون أقلامهم وأيهم يكفل مريم. (4/414-415).

[2]-فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، كتاب العلم، باب: فضل من علِم وعلّم. (225/5).

[3]-بلاغة الأسلوب النبوي، منشاوي عبود. مجلة الأزهر. ع5. يونيو 1978. ص599.

يظهـــر لـــنا مشهد بعض أهل السفل وقد حملوا فؤوسهم وأعربوا عن فكرتهم هذه قائلين: لو أنا خرقـــنا في نصـــيبنا خرقا حتى لا نؤذي من فوقنا، قصد دافعه طيب وهو عدم إيذاء شركائهم في الســـفينة، وجـــاء في إرشاد الساري: «فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا: مالك، قال: تأذيتهم بي ولا بد لي من الماء»، ويكون المشهد الأخير نهاية مفتوحة على أحد الاحتمالين إمّا النجاة وإمّا الهلاك[1].

إن إضـــافة مشـــاهد الحوار والنقاش إلى المناظر المحسوسة ساعدت على إكمال صورة حية تجيش بالحركة والخصام والجدل تقف بالقارئ على صورة حقيقية لما سيكون إذ يرى المشهد المؤثر ويسمع الرد المحتوم.

وتصوير الأمر بهذه الصورة البديعة يترك في نفس السامع ولا شك أثرا حيا يدرك به كيف يتطور أمر المنكر في المجتمع قال أبي عبد الله: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دعائم الإسلام المجمـــع عـــلى وجوبها و لم يخالف فيه إلا من لا يعتد به من الروافض فإن أحتج الروافض في قوله تعـــالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[2]، ردّ بمعنى أن الآية عند المحققين: أن امتثلتم لا يضـــركم تقصير من لم يتمثل، وقرأها أبو بكر علي المنبر وقال: إنكم تأولونها غير تأويلها، سمعت رســـول الله ﷺ يقـــول إذا رأوا الظـــالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يصيبهم الله بعذاب من عنده»[3].

فإذا ضلّ الفرد و لم ترده الجماعة عاد ضلاله عليه وعليهم و لم يفرض الأمر بالمعروف والنهي عـــن المـــنكر إلا لإصلاح المجتمع الإسلامي، فالمجتمع تتداخل أعمال الأفراد فيه وتتشابك ويسأل الإنســـان فـــيه عن عمله وعمل غيره فالجماعة الإسلامية جماعة واحدة كأنها جسد واحد تتعدد أعضـــاؤه ولكـــن في غير استقلال وانفصال وتميز وهذا ما أشار إليه ﷺ في قوله: «المؤمن تتكافؤ

---

[1]-ينظر: التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، محمد الصباغ. ص ص427-428.

[2]-سورة المائدة: 105.

[3]-شرح صحيح مسلم، أبي عبد الله الأبي. (ت827هـ). مكتبة الطبرية. (1/153-154).

دمائهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم»[1]، والأمر بالمعروف واجب على كل مسلم قال ابن القيم الجوزية: «وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرص كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق»[2].

إن جمالية هذه الصورة تكمن في أهمية الآخذ على أيدي العاثين والقيام على حدود الله، ويجعل السامع مستحضرا لتلك النتائج المترتبة على التقاعس عن أمر الله.

إن قيمة هذه التشبيهات تكمن في الارتقاء بالتعبير إلى حد يشحذ الأذهان ويهيء النفوس لتقبل ما يلقى إليها، ألم ترى أن هذه التعبيرات النبوية هنا إنما تقصد إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به، وذلك أوتد في طرقي الترغيب والترهيب.

ثانيا: الدقة في التصوير البيئة والمجتمع

من البراعة الفنية التي نقف عليها في هذه الأحاديث النبوي الشريف أننا نرى مفردات التمثيل مستوحات من الطبيعة والكون تلك الطبيعة التي لا تتغير بمرور الزمن فهي ثابتة على حالتها ولعلّ ما جعل الرسول ﷺ يمثل بها ويقرب فيها أفهام الناس لارتباطهم الوثيق بها.

والأمر كما أسلفنا «أن تلك الصور البديعة جاءت آية في الإحكام والتناسق والإبداع، لأنها لم تستفرغ مفردات اللغة طلبا للتباهي والتسابق في القدرة على الفن التعبيري، ولم تتخذ وسيلة التعبير غاية لمجرد التسلية والترفيه»[3].

قال مصطفى الصباغ «إننا نجد السامع يتفاعل مع النص تفاعلا حاسما في كل صورة من صوره ولا شك أن الصورة الفنية تستمد عناصر تأثيرها من البيئة والمجتمع لتبلغ درجة عميقة من

---

[1]-سنن النسائي بشرح الحافظ الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. كتاب القسامة. باب القود بين الأحرار والمماليك في النفس. (20/8).

[2]-أعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر. (ت751هـ). مكتبة الكليات الأزهرية. (2/ 177).

[3]-الخصائص الفنية في الأدب النبوي، محمد بن سعد الدبل. ص206.

الواقعية، ولتصل إلى وجدان القارئ أو السامع، ولا يكون فيها من غرابة الوسط أو الجو ما يقف حائلا دون التأثير والإقتناع»[1].

ففـــي الحديث الأول نجد أن عناصر الصورة في وقائعها وأمثلتها منتزعة من الطبيعة وواقع البيئة العربية ومن النفس البشرية التي تعايشها، بحيث ترى مناخها وبحرها وبردها وريحها ومطرها وسيولها ووديانها تتمثل في الخيال، إن قيمة التمثيل العربي الذي يعيش في صحرائه بمياهها ووديانها ومدى منفعتها لكل الناس وقيمة الأرض النافعة وكم يكون الرضا بها والدعاء لها بالخير والصلاح، وفي هـــذا تجسيم للدين في صورة الغيث الذي تقام به الأعياد وتزف به البشرى عند أهل البادية والبعيدين عن المنابع والأنهار[2].

إنـــه تمثيل حافز على المؤمن أن يكون بمثل الأرض النقية الطاهرة بعيد عن مشابهته بالأرض الجدباء التي لا نفع فيها.

إن تلك التشبيهات قد تلاءمت صورها مع أطرافها في صورة لم تزل تعبّر عن نفسها حية خالدة قال محمد الدّبل: «وهل بعد تشبيه العالم بالغيث بجامع النفع وتشبيه الجاهل بالأرض الصلبة بجامع عدم النفع من تعبير يؤدي المعنى على أتم صورة وأدق تعبير، إنّ تلك الصورة في مدى تأثيرها وتفاعلها مع ما ضربت منه واستمدت لتحمل صدق الحدس النبوي فيها يرمي إليه الرسول الكريم من معادن شريفة يصدقها الزمن وما يحمل فيه من أحداث»[3].

أما في الحديث الثاني فقد تجلت صورة شفقته ﷺ في وتحذيرهم مما يضرهم في صورة رجل يمنع الفراش من يسقط في النار، صورة فنية رائعة تنقل وبتلك الصورة ليخيّل إلينا أننا نشاهد المنظر الـــلحظة بكل من فيه وكل ما فيه قال أبو حمدان «إنّ التخيل هو قوام الصورة ومبدع سرها... فالتخيل يضمر في داخله طاقة نفسية إبلاغية لا حدّ لها»[4].

---

(1)-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، مصطفى الصباغ. ص576.

(2)-الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، عز الدين كمال. ص68.

(3)-الخصائص الفنية في الأدب النبوي، محمد بن سعد الدّبل ص207.

(4)-الإبلاغية في البلاغة العربية، سمير أبو حمدان ط1. بيروت. باريس. 1991م. ص139.

وهذه الصور مستمدة من الطبيعة والبيئة فالفراش معروف وهيئة النار معهودة تساعد على تصور هذا المنظر العجيب أفعال وحركات سريعة وصراع بين الهوى والهدى، حرارة ولهيب، أشعة وظلمة ونتمثل ما وراء المحس من نوازع متقابلة يدفع بعضها إلى الخير المنجي والآخر إلى الشر المردي، فينتقل إحساسنا إلى حالنا وحال النبي ﷺ فنرى أنفسنا في صراع الهوى الغالي للهدى الرحيم ذلك الفراش الأحمق الذي يضحي بالحياة في اندفاع قاهر ثمنا غالبا للامح براق، فإذا اجتذبه المشفق إليه صانا بحياته، غلبه الهوى على نفسه فاقتحم المهالك هذا التخيل الحسي لا يبعد كثيرا حقيقة أليست الذنوب سببا توصل إلى النار؟ إنها الضوء الكاذب الخادع يضعه إبليس في أعلى حافة النار ليحرفهم فيها ثم أليست قلوبنا تتأثر من حين إلى آخر بالزاجر والرادع يكفنا ويجذبنا ذلك الأخذ بالحرس، فيغلب الشيطان بخداعه من يغلب على المعصية فذلك الاقتحام في النار[1].

أما دقة التصوير حديث السفينة فتتجلى في وصفه ﷺ حالة من حالات الناس تفشوا في مجتمعاتهم الاستهتار بحدود الله والاستهانة بآداب الدين قال مصطفى الصباغ عن روعة هذا التصوير «المجتمع سفينة ركابها متضامنون وتصرف فئة يؤثر على الآخرين لا سيما إذا كان هذا التأثير متصلا ببنية المجتمع، إن هذا التضامن قائم فيما بينهم سواء أرادوا أم أبوا فالخرق خرق هدام مميت في أي موضع كان من السفينة، ولا بد من مواجهة أي عمل تخريبي في المجتمع قبل أن يحل البلاء ويعم الناس كلهم مثلهم في ذلك مثل ركاب السفينة»[2].

«وبهذه الصورة أراد الرسول ﷺ أن يحدد الحرية الشخصية للفرد بما لا يعقبه ضرر الجماعة وهو مبدأ معروف في جميع الشرائع الدولية فلم يقل في أسلوب تقريري أن الفرد مقيد بمصلحة أمته فلو أتى من الأشياء ما يسئ إليها لكان موضع المآخذة بل لجأ إلى الصورة الأدبية بل تلقي ضيائها الكاشف على هذه الحقيقة»[3].

---

[1]-الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، عز الدين كمال. ص162.

[2]-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، محمد الصباغ. ص578.

[3]-البيان النبوي، محمد رجب البيومي، دار الوفاء. ص234.

ثالثا: الدقة في اختيار عناصر المشبه به

من الملاحظ في هذه الأحاديث الشريفة أنه ﷺ قد اختار عناصر المشبه به بدقة تامة لا يمكن الوصـــول إلى الغـــرض والمعنى المقصود بنفس هذه الدرجة من الوضوح لو اختير للتشبيه عناصر أخرى.

فاختيار "الغيث" في الحديث الأول مكانا للصورة التي يراد التشبيه بها يوحي بدقة المشبه به وقد شبه النبي ﷺ هذا الدين المتين بالغيث الكثير، وقد اختار الغيث عن سائر المطر فما السر؟ قال العيني عن هذا: «ليؤذن باضطرار الخلق إليه حينئذ قال تعالى: ﴿وَهُـوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَـا قَنَطُوا﴾[1]، وقد كان الناس قبل المبعث قد امتحنوا بموت القلوب وتصوب العلم حتى أصابهم الله برحمته من عنده»[2].

والغيـــث فـــيه حياة للأرض ويتزل بمشيئة الله وقدرته نقي طاهر به يصيب مختلف أصناف الأرض وكذلك العلم والهدى فيهما حياة للناس ومتزلان عليه ﷺ من السماء إلى جميع الناس[3].

وعـــن دقـــة الإختيار قال الشرباصي: «يلزم الناس أن يتواضعوا أمام جلاء الدين فهو لهم كالسماء التي تفيض بالخير وهم دونه كالأرض التي تحيّا إلا بفضل هذه السماء»[4].

وعـــن اختيار أصناف الأرض إشارة إلى أقسام الناس، فالأرض الطيبة حسنة تستنفع بالمطر فـــتزدهر وتنبت الكلأ والعشب الذي ينتفع به الناس والدواب، وهي إشارة إلى النافع المتنفع من العـــلماء، وأمّا الأرض الجذباء التي قبلت الماء و لم تنقع به، ولكن نفعت غيرها مثله من الناس من يعـــي أمور الدين ولكنهم لا يعملون بها، بل ينقلونه لغيرهم، وأما القيعان من الأرض التي لا تنتفع

---

(1)-سورة الشورى: 28.

(2)-عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري، البدر العيني، كتاب العلم، باب: فضل من علِم وعلّم. (80/2).

(3)-روائع من أقوال الرسول ﷺ، الميداني. ص52.

(4)-دين الله والناس، أحمد الشرباصي. لواء الإسلام. شعبان. 1387هـــ. ص713.

بالماء ولا تمسكه لغيرها يشير إلى نوع من الناس لمن لا علم له ولا نقل[1]. يقول الشاعر:

الناس كالنبتِ والنبتُ ألوان منها شجر الصندل والكافور والبان[2]

قال الإمام الغزالي –رحمه الله–: «أقسام الناس أو العلماء المنتفعون بالعلم ثلاث، فالأول ذكره مثلا المنتفع بعلمه والثاني ذكره للنافع والثالث المحروم منهما»[3].

أما الحديث الثاني فقد اختار الرسول ﷺ الفراش والجنادب مشبها لهوى النفس، فالفراش لا يملك نفسه إلا إذا رأى ضوء السراج، كذلك هوى النفس تتحرك عندما تكون الشهوات قد وصلت إلى ذروتها، والفراش هو ذلك البعوض الذي يطير قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[4].

وجاء في شرح صحيح مسلم أن الجنادب فيها ثلاث لغات بالضم والفتح والكسر، قال أبو حاتم «الجندب هو غوغاء الجراد الذي يتفرش ويتركب»[5]، وبه قال الفراء[6].

وأما لفظة "الدواب" فلتحقير الداني المترلة بالموصل وصلته تدل على العادة والطبع الغالبين[7].

إن الصورة التي يراد رسمها في خيال السامع والقارئ يوحي كما أسلفنا إلى المصير المفضي إلى هلاك الفراش يطير إلى الموت تحذير شديد ومخيف موجه إلى أولئك الذين ينقادون وراء

---

(1)–ينظر: الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي. ط8. المكتبة التجارية الكبرى، مصر. (1388هـ–1969م). ص 20.

(2)–الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. (285/9).

(3)–إحياء علوم الدين، أبي حامد بن محمد الغزالي. (ت505هـ). الدار المصرية اللبنانية. (21/1).

(4)–سورة القارعة: 4.

(5)–شرح صحيح مسلم، للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت544هـ).ت:يحي إسماعيل.ط 1. دار الوفاء. (1419هـ–1998م). كتاب الرقاق. باب الإنتهاء عن المعاصي. (252/7).

(6)–ينظر: صحيح مسلم، أبي الحسن موسى مسلم القشيري النيسابوري. ط2.دار إحياء التراث العربي. ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، لبنان، 1972م. كتاب الفضائل، باب ذكره كونه ﷺ خاتم الأنبياء. (1790/4).

(7)–الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين. ص163.

أهوائهـــم الشيطانية، ومن شاهد الفراش وهي في النار أدى به على التفكير في المصير الذي ينتظره يوم القيامة، صورة تكاد تذهب بخيالنا في تصور هذه الشهوات مذاهب شتى في التدمير والإفساد.

قال المنّاوي: «شبه تساقط الجهلة والمخالفين لمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحرصهم على الوقوع فيها مع منعه لهم ﷺ يتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تميزه وعدم درايته بحرّ الدنيا ولو علم لم يدخلها بل ظنّ أن ضوء النار تريحه من ظلام الليل فكذا العاصي يظن أن المعاصي تريحه فيتعجل لذة ساعة بذلة أبدا»[1].

وأما تشبيه إنقاذ الرسول ﷺ ومنعه لأمته عن هلاك نفسها بحالة رجل آخذ بحجزة صاحبه وهي معقد الإزار الذي يكون في مهواة الهلاك[2].

بيان دقيق يبين مدى شفقته ﷺ على أمته ومبالغته على تحذيرهم مما يضرهم.

إنها صفحة من صفحات الجمال الفني في روعة العرض وسمو التصوير والتشبيه فإن الإنسان لـــيحس بخطورة المعاصي والشهوات التي تحيط به وكأنها ملموسة محسوسة، وأي إنسان لا يفزع وهو يرى ذلك المنظر الشنيع وتلك الصورة الرهيبة التي تملك عليه شعوره وإحساسه.

وما أروعه من معنى وما أجمله من تصوير في حديث السفينة لأولئك الذين أخطئوا الطريق وضلوا الحياة، وقد اختار ﷺ عناصر المشبه به يتفق اتفاقا مع الغرض الذي سيق من أجله.

إن اختـــيار السفينة محلا لأولئك القوم يبين الخطر المترتب على المعاصي في المجتمعات، لأن من يقوم بخرق السفينة لن يهلك نفسه فقط، بل سيهلك الكل معه، ثم إن السفينة كانت من عهد نوح عليه السلام سبيل السلامة والنجاة وأن الخرق يؤدي إلى الهلاك، قال ﷺ عن سفينة نوح «مثل أهل بـــيتي مـــثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[3]، وقال ﷻ: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا

---

[1]-فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، ط2. دار المعرفة. بيروت. لبنان. (518/5).

[2]-فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. (319/11).

[3]-فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي. (517/5).

رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[1].

قال ابن البغال عن اختيار السفينة: «إشارة إلى الدار التي لها علو وسفل بمناسبته بينها وبين أهل السفينة»[2].

والسفينة في البحر عرضة للأعاصير الهوج والأمواج المتلاطمة كذلك الأوطان عرضة للتأثير باختلاف الأهواء والأعراض وتباين التراعات، وأي تفريط من الربان وأعوانه يؤدي إلى الغرق، كذلك الأوطان أي خطأ في الحساب والتقدير أو إفراط أو تقريط في التصرف قد يؤدي بها إلى الهلاك، قال أبو شهبه: «إنّ اختيار عنصر السفينة من بيان الحساسية البالغة وحتمية التأثير بما يجري حولها وفوقها وفيها»[3].

ثم إن النوعيات البشرية في السفينة يعبر عن أصناف الناس في المجتمع قال الصباغ: «المجتمع فيه ناس في منازل متعددة فيه صالحون يقيمون حدود الله ويأمرون بالمعروف... فإن لم يوجد هذا الفريق تفوض المجتمع وذهب ريحه لأن المفسدين لا يجدون ما يأخذون على أيديهم وأهل السفل في السفينة يشير إلى فريق آخر من الناس هم العصاة العابثين المفسدين»[4]، قال أبو شهب عن دلالة المشبه به»، «فكما أن الربانية يحرسون على السفينة لارتباط حياتهم بحياتها وسيرها فكذلك المواطنون يجب أن يحرصوا على الأوطان حرصهم على حياتهم»[5].

إن المعاصي خروق يتعرض لها المجتمع ولا يزال أحدهم كما يقول الرافعي: «ينقر في موضعه من سفينة دنينا وأخلاقنا وآدابنا بفأسه أي بقلمه، زاعما أنه موضعه من الحياة الاجتماعية يصنع فيها ما يشاء... وكما أن لفظة الخرق يكون من معانيها في البحر القبر والغرق والإهلاك، فكلمة الفلسفة يكون من بعض معانيها في الاجتماع الحماقة والغفلة والبلاهة، وكلمة الحرية يكون من معانيها الجناية والزيغ والفساد، وعلى هذا القياس اللغوي فالقلم في أيدي بعض الكتاب من

---

[1]-سورة الكهف: 71.

[2]-عمدة القارئ شرح الكرماني. كتاب القسمة، باب هل يقرع في القسمة. (56/13).

[3]-تضامن الأمة في الإصلاح ودرأ الفساد، محمد أبو شهبه.مجلة الأزهر. ع43. (432/1).

[4]-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، لطفي الصباغ. ص428.

[5]-المرجع السابق. ص433.

معانيه الفأس والكاتب من معانيه المخرّب والكتابة من معانيها الخيانة»[1].

واختيار البحر مشبها به يشير إلى المخاطر التي تحيط بالسفينة من أمواج متلاطمة إضافة لما يترتب عليه خرق السفينة، قال مصطفى الصباغ: «الخرق خرق هدام مميت في أي موضع كان من السفينة، سواء كان في هذا الموضع أو ذلك.. في موضعك أنت أم في موضع خصمك الذي تكرهه...»[2].

إنّ التمثيل في هذه الأحاديث وغيرها لم تؤت به عبثا، ولكن هناك الدقة المتناهية في اختيار عناصر المشبه به، وحاشا للرسول ﷺ في ذلك.

رابعا: الدقة في اختيار اللفظ

إن أبرز سمة في ألفاظة ﷺ هي السهولة والوضوح، لأن كلامه موجه لكل الناس، فمفرداته من الألفاظ الشائعة المتداولة التي يفهمها العامة والخاصة، قال السرطاوي: «كان من صميم الحكمة والتوفيق الإلهي أن تأتي ألفاظة ﷺ على هذا النحو من السهولة والوضوح ومن القوة والمتانة بعيدة عن التكلف أو التصنع أو المبالغات المقيتة التي تقلل من شأن النص الأدبي»[3].

ذلك أنّه لما كان ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى وقد أوتي جوامع الكلم فكان من حسن الدقة اختيار اللفظ المناسب ووضعه في موضعه، بحيث لا ترى في كلامه ﷺ كما قال الرافعي: «حرفا مضطربا ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه ولا كلمة غيرها أتم منها آداء للمعنى وتأتيا لسره في الاستعمال»[4]، وإنّ هذا الأمر ليتجلى في اختياره ﷺ للألفاظ التي جاء بها في الأحاديث، ففي الحديث الأول يقول «مثل ما بعثني الله به...» فما سرّ هذا التركيب، قال الشرباصي: «كان يستطيع أن يقول مثل الذين أو مثل الإسلام، لكن التعبير البليغ جاء بلفظة "ما" لإيجاد الإبهام المهيأ للتشويق إلى البيان والإيضاح، فإذا جاء هذا البيان بعد ذلك تمكن من المعنى من نفس السامع...،

---

[1]-وحي القلم، الرافعي. (3/8-9).

[2]-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، لطفي الصباغ. ص468.

[3]-دراسات في الأدب العربي، معاذ السرطاوي ط1. دار مجدلاوي. الأردن. عمان. (1409هـ-1988م). ص89.

[4]-إعجاز القرآن، البلاغة النبوية، الرافعي. ص320.

وفي هذا التعبير أيضا تفخيم عن طريق هذا الإبهام»[1].

ولم يقتصر الحديث على ذكر الهدى فقط، بل قال: "من الهدى والعلم" قال الإمام القسطلاني عن ذلك: «لأن الدلالة الموصلة هي الهدى، والعلم هو المدلول وهو صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض والمراد به هنا الألة الشرعية»[2]، و«ونعت الغيث لأنّ اللآم لتعريف الجنس ومدخوله كالنكرة فيوصف بالجملة كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[3]، أو حال منه»[4].

ثم أنه ﷺ جاء بلفظة أرضا نكرة، قال الميداني: «الغرض من التنكير هو التنويع»[5]، كما جعل للنقية والأجادب حكما واحدا، ولهذا لم يعطف بلفظ أصاب في الأجادب[6].

ثم أنه ﷺ قدم الكلأ على العشب في قوله: «فأنبت الكلأ والعشب»، فما السرّ في التقديم؟ جاء في شرح الكرماني قوله: «إن التخصص بالذكر للاهتمام به وشرفه»[7].

لأن الكلأ يطلق على النبت الرطب واليابس معا والعشب للرطب فقط، ولأن من سمات كلامه الإيجاز فقد قال في الحديث «فشربوا وسقوا وزرعوا»، قال لاشين: «حذفت المفاعيل لأنها معلومة ولكونها فضلة في الكلام فالحذف للإيجاز والبلاغة الإيجاز»[8]. وفي بعض الروايات جاءت "ورعوا" من الرعي، قال النووي: كلاهما صحيح ورجح القاضي رواية مسلم لأن رواية "زرعوا" تدل على مباشرة الزرع لتطابق في التمثيل مباشرة طلبة العلم.

---

(1)-دين الله والناس، أحمد الشرباصي. ص709.

(2)-إرشاد الساري، شرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب العلم، باب من عَلِم وعَلَم (180/1).

(3)-سورة الجمعة: 5.

(4)-المرجع السابق. (26/1).

(5)-روائع من أقوال الرسول ﷺ، الميداني. ص51.

(6)-صحيح البخاري بشرح الكرماني. ط1 .كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم. (58/2).

(7)-صحيح البخاري بشرح الكرماني. كتاب العلم، باب من عَلِمَ وعَلَّمَ. (56/2).

(8)-من الحديث الشريف، عبد الفتاح لاشين. ص26.

قال الحافظ في قوله: «سقوا ورعوا» يقال سقيت وأسقيت بمعنى واحد[1].

وقـــد تجلت بلاغة القصر في قوله: «إنما هي قيعان» دون القسمتين السابقتين، قال الميداني: أتى بالقصر «إبرازا لواقع حال المشبه وهم الجهلاء المعرضون الكافرون»[2]. كما كرّر لفظة "مثل" في قوله «من لم يرفع» قال البدر العيني أنه « نوع آخر مقابل لما تقدم فلذلك كرره[3]، وفي قوله «هدى الله» اكتفى بذكر الهدى لأنّ نفي قبوله يستلزم نفي قبول العلم»[4].

وعـــن دقة اللفظ في الحديث الثاني ففي قوله ﷺ: «مثلي كمثل رجل استوقد نارا» فزيادة السين والتاء في فعل (وقد) للإشارة إلى أنه عالج إيقادها وسعى في تحصيل آلاتها[5]، كما عطف في ربـــط جمالي الدواب على الفراش وأشار إليها باسم الموصول "هذه" قال البدر العيني: أنه ﷺ أتى بـــالعطف وأراد مـــثل البرغش والبعوض والجندب ونحوها وهو تفسير الفراش[6]، والإشارة باسم موصـــول "ذي" للاستحضـــار صورتها في خيال المخاطب، ولذلك وصفت بالموصول ذي الصلة الفعلـــية المـــبدوءة بالمضـــارع التي تدل على التجدد والحدوث وهو من شأن تلك الدواب كلما شاهدت نارا[7].

أما فائدة الالتفات في قوله ﷺ من الغيبة "مثل الناس" إلى الخطاب في قوله "يحجزكم" يدل عـــلى استمراريته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم وعبر في قوله "هم يقتحمون" بدل أنتم ليوافق حجـــزكم[8] وتـــرادف الأفعال المضارعة في الحديث تدل على تجدد الفعل ومعاودة الصراع من

---

(1)-شرح صحيح مسلم للقاضي عياض للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت544هـ). ت: يحي إسماعيل. ط1. دار الوفاء. (1419هـ-1998م). كتاب الفضائل. باب: بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم. (248/4).

(2)-روائع من أقوال الرسول ﷺ، الميداني. ص51.

(3)-عمدة القارئ، البدر العيني. كتاب العلم، باب من عَلِمَ وعَلَّمَ. (80/2).

(4)-صحيح البخاري بشرح الكرماني. كتاب العلم، باب من عَلِمَ وعَلَّمَ. (56/2).

(5)-المصدر نفسه. (56/2).

(6)-عمدة القارئ، البدر العيني. كتاب أحاديث الأنباء عليهم السلام، باب:قوله تعالى: ﴿ووهبنا لداوود سليمان﴾(17/16).

(7)-الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، عز الدين كمال. ص428.

(8)-صحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي. (09/23).

جديد[1].

وفي الحديث الأخير تتجلى الدقة في الألفاظ ففي قوله "استهموا" فإنه لو اكتفى بذكر ركوبهم في السفينة فقط ما أضر بذلك، وهو السرعة إلى تغيير المنكر، لكن لفظ "استهموا" يشير إلى مواضع القوم في السفينة، إنما جاءت على وفق العدل قال البدر العيني: «أي اتخذ كل واحد منهم سهما "نصيبا" من السفينة بالقرعة»[2]. وقال الطهطاوي: «أي اقترعوا على المنفعة بطبقاتها لاشتراكهم فيها»[3].

وفي الشرع أن القرعة وسيلة يحتاج إليها لإقامة العدل والحق، قال النبي ﷺ: «الشهداء، الغرق، والمطعون، والمبطون، والهدم، وقال لو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا . ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا، ولو يعلمون ما في الصف المتقدم لاستهموا»[4].

والحديث يشير إلى أن أقسام الحظوظ في الدنيا إنما هو بعدل الله ولفظة (استهموا) تشير إلى أن الوضع في السفينة بدأ بالقسمة العادلة وأن محاولة إفساد محاولة طارئة وأن تأذي أهل العلو من أهل السفل كان من أمور التي حملتهم على خرق السفينة، وفي رواية أخرى قال «فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا مالك قال تأذيتم بي ولا بد لي من الماء»[5]، وأما في قوله ﷺ «لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذي من فوقنا وجاء التعبير بصيغة الماضي، قال الميداني «المقصود عرض رغبتهم فيما يريدون فعله في المستقبل... أي لو أننا نخرق في نصيبنا خرقا لئلا نؤذي من فوقنا»[6].

إن فائدة هاته التشبيهات الارتقاء بالتعبير إلى حد يشحذ الأذهان ويهيئ النفوس لتقبل ما

---

[1]- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، عز الدين كمال. ص163.

[2]-عمدة القارئ، البدر العيني. كتاب الشركة.باب: هل يقرع في القسمة والاستهان فيه. (57/13).

[3]-هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، عبد الرحيم الطهطاوي. ط5. دار الرائد العربي. بيروت، لبنان. (1402هـ-1982م)، (186/2).

[4]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الآذان، باب الصف الأول، (174/1).

[5]-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، القسطلاني. كتاب الشهادات. باب: القرعة في المشكلات. (414/4).

[6]-من روائع أقوال الرسول ﷺ، الميداني. ص118.

يلقـــى إلـــيها فتحس بحلاوة وقعها وجمال لفظها ودقة مبناها وروعة معناها وصدق تصويره ﷺ وحسن تحديده للألفاظ ما يملأ النفس طربا ويفحم القلب نشوة.

وقد أشرنا إلى شيء من هذه الصور فلنبحث عن صور أخرى ذات طابع أجمل وذلك فيما يفيده المجاز والاستعارة في الفصل الثاني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:

المجاز في الحديث النبوي الشريف

المبحث الأول: بلاغة المجاز في الحديث النبوي الشريف

المبحث الثاني: بلاغة الاستعارة في الحديث النبوي الشريف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لـــلمجاز في اللغة العربية نصيب موفور إذ يعد أبلغ من الحقيقة كما هو مقرر في علوم الـــبلاغة والاستعارة جزء من هذا الأخير فهي تقف مع التشبيه في التصوير الأدبي وإن كانت أكـــبر مـــنه تخييلاً والرسول ﷺ أبلغ من نطق بالضاد وكلامه تنزيل من التنزيل، فلا عجب أن يكـــون في أحاديثه ﷺ الكثير من المجازات المعبرة عن المقصود بأروع صورة لا تصنع فيها وإنما بالفطرة المصطفات والطبع الموهوب والتهيئة الإلهية.

إن إغـــلاق باب المجاز في الحديث النبوي يصد كثيرا من الدارسين عن فهم السنة وعن فهـــم الإســـلام في حين يجدون في المجاز ما يشبع فهمهم، ولا يخرجون به عن منطق اللغة ولا قواعد الدين.

ونحـــن حين نعرض للمجاز في الحديث النبوي الشريف فهو للإبانة عن البلاغة المعجزة للرسول ﷺ في نطاق بشريته، وهو يتناول قضايا الإسلام وأحكامه.

وهـــذه نمـــاذج من أحاديثه ﷺ تحتوي على المجاز والاستعارة، وقد حققت في جميع المواضـــع أغراضا وأبعادا هامة ما كانت لتتحقق لو استبدلت بالأسلوب الحقيقي، وقد فصلت القول من خلال مبحثين.

تناولت في المبحث الأول بلاغة المجاز في الحديث النبوي الشريف بمختلف علاقاته.

وتناولت في المبحث الثاني، بلاغة الاستعارة بمختلف أقسامها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: بلاغة المجاز في الحديث النبوي الشريف

أولا: بلاغة المجاز بالحذف:

المجاز بالحذف في أثناء الكلام ظاهرة أسلوبية في كلام العرب، وهي سمة بارزة في أحاديث رسول الله ﷺ وهو يشي بمعان متباينة، وسنرى في الأحاديث الآتية التي وشى بها أسلوب المجاز بالحذف، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب وهي المدينة، تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد»[1].

وفي هذه العبارة النبوية مجاز بالحذف ففي قوله ﷺ: (أمرت بقرية)، والمعنى أمرني الله بالهجرة والنزول بها[2].

قال البدر العيني: فإن كان قاله ﷺ بمكة فهو بالهجرة إليها وإن كان قاله بالمدينة فيعني سكانها[3].

ومعنى الحديث أن أهلها يقهرون أهل القرى ليسلكون بلادهم ويغتنمون أموالهم فكأنهم يأكلونها[4] وقال النووي: هناك وجهان أحدهما أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر، فمنها فتحت القرى وغنمت أموالها وسباياها، والثاني: أن أكلها وميرثها تكون من القرى المفتتحة وإليها تساق غنائمها[5].

قال ابن حجر: يعني أن أهلها تغلب سائر البلاد أو أن فضلها يغلب فضائل البلاد[6]. أما

---

[1]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الحج. باب فضل المدينة. (25/3).

[2]-فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوى. (192/2).

[3]-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الحج. باب فضل المدينة وأنها تنفى الناس. (234/9).

[4]-المجازات النبوية، الشريف الرضى. ص244.

[5]-صحيح مسلم شرح النووي، كتاب. الحج. باب المدينة تنفى خبثها وتسمى طابة وطيبة. (154/9).

[6]-ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب الحج. باب فضل المدينة وأنها تنفى الناس. (331/3).

في قوله ﷺ (يقولون يثرب) صفة للقرية والراجح منه إليها محذوف والأصل يقولون لها[1] وفي قوله ﷺ (تنفى الناس كما ينفي الكير خبث الحديد) أي: أن أهلها يتمحصون فينتفى عنها الأشرار ويبقى فيها الأخيار[2]، ونسب التمييز للكير لكونه السبب في اشتعال النار التي وقع التمييز بها[3].

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا جبل يحبنا ونحبه»[4]. وهذا إشارة منه ﷺ إلى جبل أحد، وحب الجبل يحتمل وجهين الحقيقة والمجاز، ووراء هذا الإجمال تحليل وتفصيل وذلك من خلال عرض أقوال العلماء؟

قال الرضي: هذا القول مجاز، لأن الجبل على الحقيقة لا يصح أن يُحَب ولا يُحِب، إذ محبة الإنسان لغيره إنما هي كناية عن إرادة النفع له أو التعظيم المختص به... وكلا الأمرين لا يصح على الجماد، فالمراد إذا أن أحد جبلنا يحبنا أهله ونحن نحب أهله[5]. ووافق على القول ابن الأثير وقال: إضافة المحبة إلى الجبل من باب التوسع إذ لا مشاركة بينه وبين الجبل الذي هو جماد[6]. وقال ابن حجر: المراد بمحبة الجبل أهل المدينة[7] ولكن النووي رأى خلاف ذلك وحمل القول على ظاهره وقال: أن الجبل يحبنا بنفسه، وقد جعل الله فيه تمييزا[8]، ولكن هناك من رأى جواز الاحتمالين فقال المناوى: محبة الجبل مجاز، كونه نافعا سادا بينه وبين ما يؤذيه. أو المراد أهله... وقيل: أراد الثناء على الأنصار الذين هم سكان المدينة، الذي الجبل منها. وقيل على الحقيقة، لأن الجماد يعقل عند الإعجاز[9]. وقال الطهطاوي: يحتمل القول على الحقيقة،

---

(1)-الفائق في غريب الحديث، جار الله محمود بن عمر الزمخشري. (ت582هـ). ط1. دار الكتب. بيروت، لبنان. حرف الهمزة مع الراء. مادة (أكل). (1417هـ-1996م). (46/1).

(2)-المجازات النبوية، الشريف الرضي. ص244.

(3)-هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، الطهطاوي. (140/1).

(4)-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الجهاد. باب فضل الخدمة في الغزو. (42/4).

(5)-المجازات النبوية، الشريف الوضي. ص23.

(6)-المثل السائر، ابن الأثير. (87/2).

(7)-فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني. كتاب الجهاد. باب من غزا بصبي للخدمة. (66/6).

(8)-صحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب الحج. باب فضل أحد. (162/1).

(9)-فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي. (184/1-185).

ولا ينكر وصف الجماد أنه يحبه كما حنت الأسطوانة على مفارقته ﷺ حتى يسمع القوم حنينها، ويحتمل المجاز. والمراد أهله أي: الأنصار فهو من باب وسأل القرية[1].

ومن بلاغته ﷺ في الحديث هذا التوافق بين الكلمة وحروفها. فحركات الحروف الرفع (أُحُدٌ)، وهذا يشعر بارتفاع دين الأحد، وعلوه، ولذلك تعلق الحب من النبي ﷺ به لفظا ومعنى فخصه من بين الجبال والله أعلم[2].

وبعد عرض هذه الأقوال أرى أن تخريج العبارة على المجاز أولى وأوسع والتصوير بها أروع، ففي الحديث مجاز بالحذف والمراد حب أهل المدينة، والحب هو ميل القلب إلى المحبوب من إنسان وغيره، وإذا لم يصح من الجبل فلا نتصور عدم صحته من الإنسان للجبل، لمزايا تميل إليه القلب[3].

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ طلع له أحد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه. اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت ما بين لا بتيها»[4]، قال النووي: هذا دليل لمن يقول أن تحريم مكة إنما كان في زمن إبراهيم عليه السلام والأصح أنه كان يوم خلق الله السموات والأرض، وتحريم إبراهيم مكة على احتمالين:

إحداهما: أنه حرمها بأمر الله تعالى له بذلك لا باجتهاده. فلهذا أضاف التحريم إليه تارة وإلى الله تعالى تارة أخرى، والثاني: أنه دعا لها فحرمها الله تعالى بدعوته فأضيف التحريم إليه لذلك[5].

والحديث فيه مجاز بالحذف، ومعناه إن إبراهيم حرم صيد مكة، وإني حرمت صيد المدينة[6].

---

[1]-هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، الطهطاوي. (127/1).

[2]-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الغزوات. باب أحد يحبنا. (302/7).

[3]-الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، عز الدين كمال. 174.

[4]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب المغازي. باب احد يحبنا. (132/5).

[5]-صحيح مسلم بشرح النووي. النووي. كتاب الحج. باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة. (134/9).

[6]-الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام. دار الفكر. دمشق. ص7.

عن أبي هريرة ﷺ أنه عن ﷺ: «أتاكم أهل اليمن، اضعف قلوبا وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمانية»[1].وفي الحديث مجاز بالحذف والمراد أهل الإيمان وأهل الحكمة يمانيون[2] وأهل الحكمة هم الأنصار، لأنهم يمانية أصالة فنسب الإيمان والحكمة إليهم[3]، وقال ابن حجر: المراد من ينسب له بالسكن بل هو المشاهد في كل عصر من أحوال سكان جهة اليمن، إذ غالبهم رقاق القلوب والأبدان، وغالب من يوجد جهة الشمال غلاظ القلوب[4].

عن حكيم ابن حزام ﷺ عن النبي ﷺ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول وخير الصدقة عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله»[5].

اليد العليا في الحديث هي العليا واليد السفلى هي المانعة، وهذا القول في مقام المجاز بالحذف، وهو قمة المجاز، فالرسول ﷺ أراد باليد العليا يد المعطى، وأراد باليد السفلى يد المستعطى، وفي الحقيقة أنه ليس ثمة يد عالية، ويد نازلة، وإنما المراد أن المعطى أعلى رتبة من الآخذ وكنى ﷺ باليدين لأن الأغلب أن يكون بهما الإعطاء والبذل[6].

ثانيا: بلاغة المجاز المرسل

المجاز المرسل هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع القرينة المانعة من إرادة المعنى الوضعي، وهو من الأساليب التي جاءت في الحديث ناصعة بارعة، فالعبارة المعتمدة على المجاز المرسل هي ضرب من البيان التي يكون فعله في النفوس كفعل السحر.

قال الجرجاني: إن في إطلاق المجاز على الفعل المنقول عن أصله شرطا وهو أن يقع نقله على وجه لا يعرى معه من ملاحظة الأصل[7].وهذه بعض الأحاديث بهذا الأسلوب مختارة من

---

[1]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب المغازي. باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن. (218/5).

[2]-المجازات النبوية، الشريف الرضي. ص250.

[3]-فيض القدير بشرح الجامع الصغير، المناوي. (94/1).

[4]-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب المغازي. باب قدوم الأشعريين. (80/8).

[5]-صحيح البخاري. البخاري. كتاب الزكاة. باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى. (139/2).

[6]-المجازات النبوية، الشريف الرضى، ص37.

[7]-أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص295.

أقواله ﷺ بمختلف علاقاته.

التجوز بلفظ المسبب عن السبب:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبيﷺ قال:

«..... فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها»[1].

وفي الحديث مجازين أولهما وحسن أن يقول ﷺ (إنني آخذ بحجزكم عن النار) ومراده عن الأعمال المؤدية إلى دخول النار، لأن السبب للشيء جار مجرى الشيء، ولأنهم لم يكونوا مستفاوتين على النار وأثناء الخطاب وإنما كانوا في الأعمال التي يستحق بها العذاب والثاني أي أوشك أن أموت وتفقدون نهي لكم عن المعاصي، وأخذي بكم عن المغاوي، فجعل ذلك ﷺ بمنزلة إرسال حجزهم وإلقاء أزمتهم[2]. وأما قوله ﷺ (عن النار) إذ معناه: أنهﷺ يمنعهم من الوقوع في المعاصي، فإن المعاصي سبب الولوج في النار، فوضع المسبب وأراد السبب[3].

عن أبي هريرةﷺ عن النبيﷺ قال

«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسولﷺ ومسجد الأقصى»[4].

إن العبارة الدالة على عظم الثواب مؤكدة بالقصر في الحديث ليبين ﷺ فضل هذه المساجد وبيانا لمكانتها، فعبر بالسفر إليها بشد الرحال، وذلك كناية عن السفر إليها[5].

ونرى أنهﷺ عبر بشد الرحال لأنه مسبب عن الاهتمام وصدق العزم على الارتحال إلى المكان البعيد تعبيراً بالمسبب عن السبب ونفي للسبب باللزوم، مادام مسببا به[6].وفي العبارة

---

(1)-صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، (126/8).

(2)-المجازات النبوية، الشريف الرضي. ص ص80،81.

(3)-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الرقاق، باب الإنتهاء عن المعاصي. (318/11).

(4)-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الجمعة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. (76/1)

(5)-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، العسقلاني. كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. (49/3).

(6)-الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عز الدين. ص206.

حذف، وقد أوله البصريون على تقديره مسجد المكان الحرام والمكان الأقصى[1].

وفي هذا البيان توكيد المعاني وتقويته من طريق التفصيل بعد الإجمال، فهو تكرار المعاني لفضل هذه المساجد وعلى غيرها من المساجد، ليضع تشويقا للنفس للرحال إلى هذه المساجد.

عن أبي هريرةﷺ عن النبيﷺ قال

«عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل»[2].

بينﷺ في هذه العبارة فضل الجنة التي هي مآل المقودين بالسلاسل، وقد عبر عن المعنى المراد بالتعبير المجازي.

فأما (عجب الله) فالمراد به لازمة وغايته نحو الرضا والإثبات فيه[3]. وأما المراد (بالقوم) الأسارى الذين يؤخذون عنوة في السلاسل، أضاء لهم الحق وثبت لهم صحة الرسالة وما جاءهم ﷺ من الهدى ودخلوا في دين الله وظهرت سرائرهم، وزكت أعمالهم فزحزحوا عن النار وصاروا من أهل الجنة، وكانت السابقة لهم من الله تعالى الحسنى، وعاقبة أمرهم السعادة[4].

والمراد بالسلاسل في الحديث الأسباب، وقيل ما يرادون به من قتل الأنفس، وسبي الأزواج، والأولاد وخراب الديار، وجميع ما يلاحقهم إلى الدخول في الدين، وقيل أنها جذبات الحق التي يجذب بها خالصة عباده من الضلالة إلى الهدى ومن الهبوط في مهاوي الطبيعة بالدرجات العلى إلى جنة المأوي.

والسلاسل تستعمل للإذلال، قال ابن الجوزي: أسيروا وقيدوا، فلما عرف صحة الإسلام، دخلوا طوعاً، فدخلوا الجنة، فكان الإكراه على الأسر، والتقيد هو السبب الأول. وكأنه أطل على الإكراه التسلسل ولما كان هو السبب في دخول الجنة أقام المسبب، مقام السبب، وقال إبراهيم الحربي: «يقادون إلى الإسلام مكرهين فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة

---

(1)-صحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب الحج، باب فضل المساجد الثلاثة. (168/9).

(2)-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الجهاد. باب الأسارى في السلاسل. (73/4).

(3)-صحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب الجهاد، باب الأساري في السلاسل. (22/13).

(4)-هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، الطهطاوي. (374/1).

وليس المراد أن ثم سلسلة وهناك من حمل الكلام على حقيقته»[1].

ولا شـــك أن هذا التعبير وكمال الدقة فضل على الحقيقة، من جهة الإيجاز البليغ البالغ ومن جهة تقوية سبب العجب ثانياً: ومن جهة إجتداب السامع إلى الصورة العجيبة يستنبطها المراد. حيث تستدعي كل صورة ما يناسبها[2].

عن عبد الله ابن أبي أوفى ﷺ أن الرسول ﷺ قال:

«واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[3].

وهـــذه العـــبارة من جوامع كلمه ﷺ ومن الإيجاز البليغ بمكان، قال القرطبي: «هو من الكلام النفيس الجامع الموجز المشتمل على ظروب من البلاغة مع الوجازة وعذوبة اللفظ، فإنه أفاد الحظ على الجهاد. والإخبار بالثواب عليه. والحض على مقارعة العدو، واستعمال السيوف والاجتماع حين الزحف حتى تصير السيوف تظل المقاتلين»[4].

ومـــن الواضح أن الجنة ليست تحت ظلال السيوف على الحقيقة. ولكن المراد كما قال الرضـــي: «أن الصـــبر تحت السيوف لجهاد الكافرين ودفاع أعداء الدين يقضي بالصابر إلى دخـــول الجـــنة.ونزول دار الأمانة فلما كان ذلك سبب دخولها والوصول إلى نعيمها جاز أن يسميها باسمها[5]. وقد نسب الجنة إلى ظل السيوف لأن الشهادة تقع به غالبا».

قـــال القسطلاني: «هذا من المجاز البليغ لأن ظل الشيء لما كان ملازما له، ولا شك أن ثواب الجهاد الجنة، فكان ظلال السيوف المشهورة في الجهاد تحت الجنة أي ملازمها استحقاق ذلك وخص السيوف لأنها أعظم آلات القتال»[6].

فعلاقـــة المجاز في الحديث المسببية، فلما كان ما تحت السيوف من الجهاد والصبر مؤدي

---

[1]-صحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب الجهاد، باب الآسارى في السلاسل. (22/13).

[2]-الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، عز الدين كمال. ص207.

[3]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الجهاد. باب الجنة تحت بارقة السيوف. (26/4).

[4]-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الجهاد، باب الجنة تحت بارقة السيوف. (26/6).

[5]-المجازات النبوية، الشريف الرضي. ص109.

[6]-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. القسطلاني. كتاب الجهاد. باب الجنة تحت بارقة السيوف. (53/5).

إلى الجنة أو سبب دخول الجنة[1]، إن استحقاق ذلك الثواب الجزاء ملازم لتلك السيوف ملازمة الظلال[2].

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي»[3].

يريد عليه الصلاة والسلام أن يبين لأمته فضيلة الصلاة في مسجده ﷺ فشبه بروضة من رياض الجنة، وفي الحديث اختلاف بين العلماء.

قيل هو على ظاهره وأنه روضة حقيقية بأن ينقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة وقيل هو تشبيه محذوف الأداة أي: كروضة الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة ....وقيل هو مجاز ومعناه أن العبادة في المسجد النبوي تؤدي إلى الجنة[4]. وقد وافق على أن في العبارة مجاز كل من الكرماني[5] والنووى [6].

وأصل الروضة في اللغة أرض ذات مياه وأشجار وأزهار، أو أرض ذات بساتين في غاية النضارة[7]. إن منبره ﷺ على الطريق إلى رياض الجنة لمن طلبها وسلك السبيل إليها وفي العبارة زيادة معنى وهو أن يكون شبهه بالروضة لما يمرّ عليه من محاسن الكلم وبدائع الحكم التي تشبه أزاهير الرياض...وأضاف ﷺ الروضة إلى الجنة لأن الكلام المونق الذي يتكلم به ﷺ يهدي إلى الجنة ويكون دالا عليها وقائداً إليها[8]

ففي الحديث مجاز مرسل علاقته المسببية فذكر المسبب وأراد السبب فالعبادة في مسجد

---

(1)-الذات الإلهية والمجازات القرآنية والنبوية، سعد رستم. ط1. الأوائل. سوريا، دمشق. (2002م). ص ص85، 86.

(2)-هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، الطهطاوي. (278/1).

(3)-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الجمعة، باب ما بين القبر والمنبر. (77/2)

(4)-سنن النسائي، النسائي. كتاب المساجد. باب فضل مسجد النبي ﷺ .(36/2)

(5)-ينظر: صحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب التهجد. باب فضل مابين القبر والمنبر (16/7).

(6)-ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب الحج. باب فضل قبره ﷺ . ومنبره (161/9)

(7)-فيض القدير بشرح الجامع الصغير، المناوى. (433/5).

(8)-المجازات النبوية، االشريف الرضي. ص88.

ﷺ النبي سبب مؤدي إلى روضة من رياض الجنة فمن لزم الطاعة فيها آلت به إلى الجنة [1]

التجوز بلفظ السبب عن المسبب:

عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»[2].

وفي الحديث مجاز مرسل عبر فيه ﷺ عن الذي يشرب في إناء الفضة في الدنيا كمن يجرجر في بطنه نار جهنم.

قال الرضي: الجرجرة صوت البعير. ولكنه ﷺ جعل صوت جرع صوت الإنسان للماء في هذه الأواني المخصوصة لوقوع النهى عن الشرب فيها واستحقاق العقاب على استعمالها كجرجرة نار جهنم في بطنه على طريق المجاز إذ كان ذلك مفضياً بعه إلى حلول دارها واصطلاء نارها[3]. وقد وافق على هذا القول الزمخشري [4] فالمراد من النار في الحديث سببها. أي يتجرع في أمعائه وبطنه ما يجر إلى النار[5].

عن أبي سعيد رضي الله عنه قالت النساء للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال فيجعل لنا يوماً من نفسك. فوعد هنَ يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن: «ما منكن امرأة تقدم ثلاثاً من ولدها إلاّ كان لها حجاباً من النار». فقالت امرأة واثنين فقال: «واثنين»[6].

وفي هذا الحديث توجيه من النبي ﷺ للنساء مما تتعرض إليه من الحزن على ما تفقده وتقدمها بين يديها من أولادها. فقال لهن: ما منكن امرأة تقدم من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار وفي العبارة مجاز ذلك بإطلاق أن يكون الأولاد والذين تقدمهم حجاباً لها من النار. والمراد مصيبتها بموتهم فهو من إطلاق السبب وإرادة المسبب إذ موتهم سبب مصيبتها وحزنها

---

[1]-عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الكسوف. باب فضل ما بين القبر والمنبر. (262/7).

[2]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الأشربة. باب آنية الفضة. (146/7).

[3]-المجازات النبوية، الشريف الرضى. ص ص 114، 115.

[4]-.عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الأشربة باب في آنية الفضة (203/11).

[5]-هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، الطهطاوي. (165/2).

[6]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوماً على حده في العلم. (36/1).

بهم[1].

عـــن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه قالت: فلانـــة تذكر من صلاتها قال: «مه عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا»[2]. وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه.

توجـــيه من النبي ﷺ لأمته بالاقتصاد في العبادة أعون في المثابرة عليها وان التعمق فيها يـــؤدي إلى السآمة المفضية إلى هجر العمل وتركه، ففي قوله ﷺ (تملوا) أي تذروا العمل ملالاً والملل محال على الله تعالى والمراد لازمه وهو ترك الجزاء[3].

قـــال الإسماعيـــلي وجماعـــة: إنما أطلق على جهة المقابلة اللفظية مجازاً كما قال تعالى : ﴿وَجَـزَاءُ سَـيِّئَةٍ سَـيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[4] فهو من باب المشاكلة اللفظية وقال القرطبي: وجه مجازه أنه تعـــالى لما كان يقطع ثوابه. فعبر بالملل وقد يكون من مجاز التشبيه شبه قطع المزيد من الأجر والثواب بقطع المالّ ما مل منه[5].

مجاز التشبيه:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الرحم شجنة من الرحمان فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته»[6] وفي رواية عنه قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا ربّ؟ فقال فذلك لك»[7].

والـــرحم عـــند أهـــل مشتقة من الرحمان وأنها قرابة من الله تعالى مشتبكة كاشتباك

---

[1]-من هدى السنة، رمزي نعناعة. دار الشهاب. باتنة. ص ص 101، 102.

[2]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الإيمان. باب أحب الدين إلى الله أدومه. (18/1).

[3]-هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، الطهطاوي. (334/1).

[4]-سورة الشورى: 40.

[5]-الإشارة إلى الإيجاز في بعض انواع المجاز، عزالدين. ص ص52، 53.

[6]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله. (6/8).

[7]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب التوحيد. باب قوله تعالى «يريدون أن يبدلوا كلام الله» الفتح. (175/9)

العروق[1] وفي الحديث تشبيه الرحم بالشجنة المتصلة بالشجرة فهي بعض منها ومنتسبة إليها. فكذلك الرحم يجب صلتها على وجب عليه حقها وضرب إليها عرقها وقد جعل حقها واجباً وذمامها لازماً في قوله ﷺ (من الله) وقد يجوز أن الله تعالى يثبت واصلها ويرعى راعيها فكأنها متعلقة به تعالى على طريق التمثيل[2].

وفي العبارة النبوية مجاز تشبيهي ثاني، وذلك في قوله تعالى لها وفي قطعها ووصلها لأن في القطع الحقيقي هو فصل جرم عن جرم[3].

عن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[4].

وفي الحديث حث منه ﷺ الشباب بالزواج، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم لأنه أحسن وسيلة لقطع الشهوة، فالصيام وجاء لصاحبه.

وأراد ﷺ أن الصيام يميت الشهوات ويشغل عن اللذات، وأصل الوجاء في اللغة بالكسر والمد الغمز، وهو رضُ عروق البيضتين حتى تنفضخ فيكون شبيهاً بالخصاء[5].

وقد عارض هذا القول المناوي واعتبر أن الصيام مانع من الشهوات ولكنه لا يقطعها من أصلها وإن دام عليه وإنما يضعفها[6] ووافق على هذا القول البدر العيني[7]. فإطلاق الوجاء على الصيام من مجاز التشبيه[8] .

عن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحداً من الأنبياء

---

(1)-مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. دار الحديث القاهرة. (1424هـ،2003م). باب الشين. مادة (شنجن). ص188.

(2)-المجازات النبوية، الشريف الرضي. ص ص110، 111.

(3)-الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عزالدين. ص91.

(4)-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الصوم. باب لمن خاف على نفسه العزوبة. (32/3).

(5)-مختار الصحاح، الرازي. باب الواو، مادة (وجأ). ص379.

(6)-فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي. (337/4).

(7)-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب النكاح. باب من لم يستطيع الباءة فليصم. (70/20).

(8)-المجازات النبوية، الشريف الرضي. ص73.

قبـــلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة»[1].

شبه ﷺ الصلاة في أي موضع من الأرض بالمسجد وأطلق لفظ العموم وأراد الجزء أي المكان المبنى والمخصص للصلاة ولأنه لما جازت الصلاة في جميعها كانت كالمسجد[2].

عـــن أبي الملـــيح ﷺ قال كنا مع بريدة في غزرة في يوم ذي غنيم فقال بكروا بصلاة العصر. فإن النبي ﷺ قال: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»[3].

وفي الحديث تحذير من النبي ﷺ لمن ترك الصلاة ذلك الركن الذي من حافظ عليها نجى وخاصة صلاة العصر فمن تركها فكأنما عمله حبط.

قال ابن حجر: «شبه تارك الصلاة كمن حبط عمله وقيل معناه كاد أن يحبط وقيل المراد بالحـــبط نقصان العمل في ذلك الوقت الذي ترفع فيه الأعمال إلى الله.... وقيل المراد بالحبط الأبطـــال أي يـــبطل انـــتفاعه بعملـــه في وقـــت ما. ثم ينتفع به كمن رجحت سيآته على حســـناته....» [4]. وهـــناك مـــن رأى بأن ذلك للزجر والتهديد، فمعناه: تعظيم المعصية لا حقيقة[5].

عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يسكت ين التكبير وبين القراءة إسكاتة قال أحســـبه قـــال هنيه فقلت بأبي وأمي يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول قال أقول: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللّهم نقني من الخطايا

---

[1]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الصلاة. باب قول النبي ﷺ «جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا ». (112/1)

[2]-فـــتح الـــباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب التيمم. باب قول النبي ﷺ «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»

[3]-صحيح البخاري. كتاب الصلاة. باب إثم من فاته العصر. (137/1).

[4]-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب أبواب الأذان. باب من ترك صلاة العصر. (26/2)

[5]-سنن النسائي، النسائي. كتاب الصلاة. باب من ترك صلاة العصر (236/1).

كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللّهم أغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد»[1].

وفي هذا الدعاء تشبيه. شبه ﷺ الذنوب بالأوساخ وشبه محوها بغسل الثوب الأبيض من الوسخ بالماء. ولما كانت الأوساخ في الثوب الأبيض أظهر من غيره وقع التشبيه وخص الثلج والبرد بالذكر تأكيداً للنظافة، أو لأنها ما آن لم تمسهما الأيدي .... ويحتمل أن يكن كل واحد منهم مجاز عن صفة يقع بها المحو.

وفي الحديث مجاز تشبيهي جعل ﷺ الخطايا والذنوب بمنزلة جهنم لكونها مسببة عنها، فعبر عن إطفاء حرارتها بالغسل وبالغ فيه باستعمال المبردات ترقيًا عن الماء إلى أبرد منه وقال التوريشي: خص ﷺ هذه الثلاثة بالذكر لأنها منزلة من السماء [2].

وقال عزالدين: أراد إذاقته لذة عضوه لذنوبه كما يلتذ الضمآن بالثلج والبرد والماء البارد [3].

التجوز بلفظ المراد عن الإرادة:

-عن ابن عباس ﷺ قال قدم النبي ﷺ المدينة وهم يسلفون بالتمر السنتين والثلاث فقال: «من أسلف في شيء ففي كيل معلوم إلى أجل معلوم»[4].

وفي الحديث تعبير بلفظ المراد عن الإرادة أي: من أراد السلف فليسلف في كيل معلوم إلى أجل معلوم[5] عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل»[6].

وظاهر الحديث أن الغسل إنما يعقب المجيء، وليس كذلك وإنما التقدير إذا أراد أحدكم

---

[1]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الأذان. باب ايجاب التكبير وافتتاح الصلاة. (177/1).

[2]-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن جر العسقلاني. كتاب الأذان. ما يقول عند التكبير (183/2)

[3]-الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين. ص107.

[4]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب السلم. باب السلم في وزن معلوم. (105/3).

[5]-المرجع السابق، ص45.

[6]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الجمعة . باب فضل الغسل يوم الجمعة. (2/2).

إتيان الجمعة فليغتسل وإضافة أحد إلى ضمير الجمع ليعم الرجال والنساء والصبيان[1]

التجوز بالجزء عن الكل:

عن أبي قتادة السلمي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس»[2] ذكر ﷺ الركعة وأراد الصلاة، فهي من ذكر الجزء وإرادة الكل.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[3].

ففي العبارة النبوية مجاز مرسل علاقته الجزئية بذكر القيام وإرادة الصلاة .

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ ذكر الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه»[4]. وأشار بيده يقللها.

إن الغالب في المصلي أن يكون قائما في صلاته، فالمراد انتظارها. أو الدعاء ومعنى قائم، المواظبة لا حقيقة. لأن منتظر الصلاة في حكم الصلاة[5]. والنكة في اختيار لفظ القيام لأنه أشهر أحوال الصلاة[6]. أما إشارته بيده ﷺ فلتقليلها وللترغيب فيها، والحض عليها ليسارة وقتها وغزارة فضلها[7]

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺقال: «من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه

---

(1)-إشارة الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب الجمعة. باب فصل الغسل يوم الجمعة. (156/2)

(2)-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الصلاة. باب وإذا دخل المسجد فليركع ركعتين. (114/1).

(3) -صحيح البخاري، البخاري. كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية. (17/1).

(4) -صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة (16/2).

(5) -ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة. (2/ 156).

(6) -فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الجمعة، باب الساعة التي فيها يوم الجمعة (2/ 332).

(7) -الفتح الرباني مع شرحه بلوغ الأماني، حسن البنا. كتاب الجمعة، باب ما ورد في ساعة الإجابة ووقتها من يوم الجمعة (6/ 13).

عضوا من النار حتى فرجه بفرجه»[1].

وفي الحديث مجاز وهو من إطلاق البعض وإرادة الكل، وقد ذكرﷺ الرقبة وأراد بها صاحبها. وفي الحديث إشارة منه ﷺ بعتق العبيد. فالمعتق يعتق الله بكل عضو من الرقبة التي أعتقها عضوا منه من النار... فذكر الرقبة و أراد الجسم كله، وفي الحديث تصوير الخلاص من النار بالعتق، وقد زادت المقابلة بين عتق الرقبة والعتق من النار الصورة جمالا[2]. عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: تخلف النبي ﷺ عنا في سفرة سافرناها، فأدركنا العصر فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته.

«ويل للأعقاب»[3] مرتين أو ثلاث.

وهذا تحذير من النبي ﷺ لأمته من التهاون في الوضوء. وقد صدر ذلك منه ﷺحين رأى أناسا يمسحون أرجلهم في الوضوء ولا يوصلونها إلى أعقابهم. و"الويل" كلمة تقال لمن وقع في هلكة يستحقها. والمراد بالأعقاب أصحابها، أي هلاك أصحاب الأعقاب المقصرين في غسلها[4] وخص ﷺ الأعقاب بالذات لغلبة التساهل فيها والتهاون بها لأنها في أواخر الوضوء وأسافل البدن، وفي محل لا يشاهد غالبا، فكان الاهتمام به أحق من غيرها[5].

النجوز بالكل عن الجزء.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ «دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[6].

وفي العبارة النبوية مجاز مرسل علاقته الكلية وذلك بإطلاق لفظ المسجد وإرادة جزء

---

(1) –صحيح البخاري، البخاري. كتاب كفارات الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿أو تحرير رقبة﴾ المائدة 89. (181/8).

(2) –التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، مصطفى الصباغ. ص ص 479-480.

(3) –صحيح البخاري، البخاري. كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين ولا يمسح على القدمين. (1/ 51).

(4) –هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، الطهطاوي. (2/ 282).

(5) –فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي. (1/ 147).

(6) –صحيح البخاري، البخاري. كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد.(1/ 63).

منه، أو ناحية من المسجد[1] لأنه لا يعقل أن يبول في جميع المسجد.

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ

«إن الله حرم مكة، فلم تحل لأحد قبلي. ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار ولا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف وقال العباس يا رسول الله. إلا الاذخر لصاغتنا وقبورنا؟ فقال. إلا الاذخر»[2].

لما كانت منزلة مكة وكرامتها عند الله، فضلا كبيرا عبر النبي ﷺبتحريم الله إياها والتحريم لا يتعلق بالذات. وإنما لأمور أخرى تتلبس بها، كتحريم سفك الدم، وقطع أشجارها فمكة محلها.

وفضل المجاز هو تصوير التحريم بكل أجزائه وجميع ما فيها صورة المحرم، فيعم ما ذكر البنيان وغيره ويزيد من تصوير الحرمة والقداسة[3].

التجوز بذكر المحل وإرادة الحال.

عن أيوب الأنصاري ﷺ أن النبي ﷺ قال:

«إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستديروها، ولكن شرقوا أو غربوا»[4].

نهى منه ﷺ لأمته عن استقبال أو استدبار القبلة. فعبر في حديثه الشريف بلفظ الغائط، وهو الموضع المطمئن من الأرض كانوا يعدونه لقضاء الحاجة، فكنى به ﷺ عن العذرة، كراهية لاسمه، فصار حقيقة عرفية غلبت على الحقيقة اللغوية[5].

---

(1) ـفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الوضوء، صب الماء على المسجد، (1/ 258).

(2) ـصحيح البخاري، البخاري. كتاب الحج، باب لا ينفر صيد الحرم، (3/ 17).

(3) ـالحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، عز الدين كمال. ص ص197-198.

(4) ـصحيح البخاري بشرح السندي، البخاري. كتاب الصلاة، باب قبلة أهل المدينة وأهل الشام، (1/ 103).

(5) ـفيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي. (2/ 392).

ففي العبارة مجاز بإطلاق اسم المحل على الحال[1].

عن عائشة –رضي الله عنهما- قالت. قال النبي ﷺ

«الولد للفراش وللعاهر[2] الحجر»[3].

وفي الحديث مجاز على أحد التأويلين أحدهما أن العاهر لا شيء له في الولد. فعبر بالحجر والثاني أن يكون استفراشها حقيقة، وهو أن يكون المراد أنه ليس للعاهر إلا إقامة الحد عليه وهو بالرجم بالأحجار. فيكون الحجر اسما للجنس لا للمعهود، وهذا إذا كان العاهر محصنا، فإن كان غير محصن فالمراد بالحجر ههنا الجلد، وفي القول تعسف واستكراه وإن كان داخلا في باب المجاز لأن الغلظة على من يقام الحد عليه إذا كان الحد جلدا لا رجما لا يعبر عنه بالحجر، لأن ذلك بعد عن سنن الفصاحة[4] وفي الحديث حذف. والتقدير (الولد لصاحب الفراش) [5].

والفراش في الحقيقة هو محل الوطئ المشروع الذي ينسب الولد إليه، فهو من إطلاق المحل وإرادة الحال، والحجر آلة العاهر بالرجم فهو من إطلاق اسم الآلة وإرادة ما هي له[6].

ثالثا: بلاغة المجاز العقلي:

المجاز العقلي يختص بتحويل الإسناد عن حقيقته يقول الجرجاني: «هو إسناد الفعل أو ما في معـــناه إلى ملابـــس له غير ما هو له في الواقع... وكل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العق لضرب من التأويل فهي مجاز...» [7].

---

(1) –فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الوضوء، باب لا تستقبل القبلة بغائط أو ببول، (1/ 198).

(2) العاهر: الزاني.

(3) –صحيح البخاري، البخاري. كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات. (67/3).

(4) –المجازات النبوية، الشريف الرضى. ص ص 111-112.

(5) –الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين كمال. ص208.

(6) –الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، عز الدين كمال. ص208.

(7) –أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني. ص ص 303-307.

والمجـــاز العقلي فن من فنون بلاغته ﷺ وسنذكر بعض من روائع البيان النبوي، عن أبي هريـــرة ﷺ قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ «دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين»[1]. كان ﷺ يـــتخذ مـــن الوقائع والأحداث منطلقا لتوجيه وتعليم أصحابه هذا الدين، وفي الحديث فنون بلاغية متنوعة، ففي قوله (دعوه وهريقوا) جملة إنشائية أراد بها ﷺ الزجر والتوبيخ، ولكن زجر أدب وإرشاد لما يخشى عليهم، بل لم يكتفي ﷺ بالزجر فأرشدهم إلى الصواب وهذا من كريم عوائده ومحاسن أخلاقه وشفقته عليهم.

ولا ينـــتهي العجب من هذه الفصاحة فبين قوله (بعثتم) و(لم تبعثوا) طباق السلب، زاد الصورة جمالا وفي قوله (بعثتم ميسرين) و (لم تبعثوا معسرين) بذكر الشيء، ونفى ضده تنبيها على المبالغة في التيسي[2]ر، وهو من السجع الذي لم يتكلفه.

ولقـــد ذكر ﷺ السجل والذنوب لأن بينهما فرق، قال الكرماني: السجل هو الدلو إذا كان فيه الماء قل أو كثر، وهو مذكر، أما الذنوب هو الدلو الملآن ماء، يؤنث ويذكر[3].

أما وجه إراد الحديث في هذا المقام فلأن التعبير بقوله (بعثتم) في إسناد البعث إلى الناس والمـــبعوث هـــو ﷺ ولمـــا كـــان الصحابة مقتدين به، ومهتدين بهديه، كانوا مبعوثين. قال ابن حجر: أطلق عليهم لأنهم مأمورون بالتبليغ فالإسناد إسناد مجازي وليس حقيقي[4]. عن عبد الله الخـــولاني أنه سمع عفان يقول عند قول الناس فيه، حين بنى مسجدا لرسول الله ﷺ أنكم أكثرتم، إني سمعت النبي ﷺ يقول:

«مـــن بـــنى مســـجدا قال بكير حسبت أنه قال يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة»[5]. يريد ﷺ تبيان فضل بناء المساجد لله، فإن الله عز وجل يجازيه بأن يبنى له بيتا خيرا في

---

(1) ـصحيح البخاري، البخاري. كتاب الغسل، باب صب الماء على البول في المسجد. (1/ 63).

(2) ـهداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، الطهطاوي. (1/ 344).

(3) ـصحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد (3/ 80).

(4) ـفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الوضوء، باب صب الماء على المسجد (1/ 258).

(5) ـصحيح البخاري، البخاري. كتاب الصلاة، باب من بنى مسجدا. (116/1).

الجنة.

وفي الحديث مجاز في إسناد البناء إلى الله، والبناء مجاز عن الخلق، والإسناد حقيقة[1].

قال النووي: يحتمل أن يكون مثله، معناه بنى الله مثله في المسمى أو مثله في القدر والمساحة ولكنه انفس منه بزيادات كثيرة[2]. وفي الحديث تكرار لفظ الجلالة وغرض التكرار تعظيما له وتلذذا للذاكر[3] عن أبي سعيد الخذري ﷺ قال. قال رسول الله ﷺ «إن اكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض قيل وما بركات الأرض؟ قال زهرة الدنيا فقال فقال له رجل. هل يأتي الخير بالشر؟ فصمت النبي ﷺ حتى ظننا أنه ينزل عليه ثم جعل يمسح على جبينه فقال؟ أين السائل. قال أنا. قال أبو سعيد لقد حمدناه حين طلع لذلك قال. لا يأتي الخير إلا بالخير إن هذا المال خضرة حلوة وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطا أو يلم. إلا آكلة الخضرة أكلت حتى امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس، فاجترت وتلطت وبالت، ثم عادت فأكلت، وإن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ووضعه في حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع»[4].

هذا مثل ضربه النبي ﷺ لأصحاب الهمم الدنيئة في هذه الدار الفانية الذين جعلوا الدنيا مبلغ همتهم، ومثال آخر لأصحاب الهمم العالية من طلاب ما عند الله والدار الآخرة، وفي الحديث مجاز بالإسناد في قوله ﷺ (إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا)، هذا مثل الحريص والمفرط في الجمع والمنع وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب التي تحلو بها الماشية فتكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلك. كذلك الذي يجمع الدنيا ويحرص عليها ويشح على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها، فمصيره الهلاك يهلك في الآخرة بدخوله النار واستيجاب العذاب[5].

---

(1) ـصحيح البخاري شرح الكرماني، الكرماني. كتاب الصلاة، باب من بنى مسجدا. (4/ 110).

(2) ـصحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب الزهد، باب فضل بناء المساجد (18/ 113).

(3) ـعمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الصلاة، باب من بنى مسجدا (4/ 214).

(4) ـصحيح البخاري، البخاري. كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها. (113/8).

(5) ـفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الجهاد، باب من يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (6/ 36).

ومـــن المعلوم في الحديث صورة جميلة في قوله ﷺ «إن مما ينبت الربيع يقتل حبطا» ففي الكلام يؤذن في الإسناد لأنه ﷺ أثبت الإنبات للربيع على العرف الجاري بين الناس أن يجعلوا الشيء إذا كان سببا أو كالسبب في وجود الفعل من فاعله كأنه فاعل، فلما أجرى الله سبحانه وتعـــالى العادة أن تورق الأشجار وتظهر الأنوار وتلبس الأرض ثوب شبابها في زمن الربيع، صار يتوهم في ظاهر الأمر ومجرى العادة كأن لوجود هذه الأشياء حاجة إلى الربيع فأسند الفعل إليه[1].

عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ طلع له أحد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت ما بين لابتيها»[2].

وفي الحديث مجاز في الإسناد قال النووي: هذا دليل لمن يقول أن تحريم مكة إنما كان في زمـــن إبراهيم ﷺ والأصح انه كان يوم خلق الله السموات والأرض، وتحريم إبراهيم مكة على احـــتمالين، إما حرمها الله بأمر الله تعالى بذلك، وإما أنه دعا لها فحرمها الله تعالى بدعوته[3]، فأضيف التحريم إليه لذلك، فالمراد أن التحريم كان بالوحي[4] وأسند إليه عليه السلام، لكونه على لسانه لأنه في مقام التبليغ، لا من حيث الإيجاد[5].

وفي نهايـــة هذا المبحث تتجلى لنا البلاغة النبوية في الدقة في اختيار الألفاظ واستعمالها استعملا مجازيا بدون تكلف. وتكمن جماليتها في تلك العفوية التي طبع بها كلام الرسول ﷺ.

---

(1) ـ أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص ص288-289.

(2) ـ صحيح البخاري، البخاري. كتاب المغازي، باب أحد يحبنا. (132/5).

(3) ـ صحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب الحج، باب فضل المدينة، (9/ 134).

(4) ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي. (2/ 406).

(5) ـ أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني. ص ص40-41.

المبحث الثاني: بلاغة الاستعارة في الحديث النبوي الشريف.

الاستعارة صورة من صور التوسع والمجاز في الكلام وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامة التي ترجع إلى المعنى، كما يقول عبد القاهر الجرجاني :«أن فضيلة الاستعارة الجامعة تتمثل في أنها تبرز البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا وتوجب له بعد الفضل فضلا وأنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها في مواضع ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف مفرد، ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من العاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجنى من الغصن الواحد أنواعا من الثمر[1]. وسترى معي في هذه الأحاديث مكانة هذه الصورة في البيان النبوي الشريف.

أولا: فنية الاستعارة المكنية:

وهي أحد أقسام الاستعارة وهي ما حذف فيها لفظ المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهذا النوع كثيرا جدا في كلام العرب وفي القرآن وفي أحاديث الرسول ﷺ أيضا فهي بينة واضحة وهذه نماذج منها:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺقال: «حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره»[2].

هذا من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس ولو كانت تدفعه إليها شهوته[3].

والمراد أن جميع الأفعال التي توصل إلى الجنة يتجشم فعلها على الكره والمشقة لأن طريقها وعر، ومذاقها مر، حفت بالمكاره، ولما كانت الأفعال المفضية إلى دخول النار في أغلبها

---

[1] –أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني. ص40، 41.

[2] – صحيح البخاري بشرح السندي، البخاري. كاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات،(8/ 127).

[3] –عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، (23/ 78).

فيها ملاذ، وما يلائم الطباع، لذلك حجبت الجنة بالشهوات وحجبت النار بالمكاره[1].

ولذلك عبر النبي ﷺ في إيجاز بليغ عن إيصال المكاره بحفها بها ووجه التشبيه أن كل من الحف والإيصال فيه تقريب الشيء للشيء وبعكس النار التي طريق الوصول إليها هو فعل المحرمات وترك الفرائض والواجبات. وفي ذلك اتباع لكسل النفس وهواها ورغباتها، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بالمشتهيات. وفي الحديث استعارة حيث استعار كلمة الحف لمعنى الإيصال والتقريب[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال. قال النبي ﷺ «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة. كما تأرز الحية إلى جحرها»[3] ومعنى يأرز في اللغة أي ينضم بعضه إلى بعض فيها ومنه الأزرز للبخيل المنقبض[4].

وهذا الحديث من الإيجاز البليغ بمكان قال الرضى: هذه استعارة والمراد أن الإسلام ليأوى إلى المدينة كما تأوى الحية إلى جحرها، وأصل ذلك مأخوذ من التقبض والاجتماع... فجعل -عليه الصلاة والسلام- المدينة كالوجار للإسلام يتقلص إليها وينضم إلى حماها لأنها قطب مداره ونقطة ارتكازه[5].

قال المهلب: فيه أن المدينة لا يأتيها إلى مؤمن... إنما يسوقه إليها إيمانه ومحبته في النبي ﷺ فكأن الإيمان يرجع إليها كما خرج منها أولا ومنها ينتشر كانتشار الحية من جحرها ثم إذا راعها شيء رجعت إلى جحرها[6] والمراد بالمدينة أهله وجميع الشام لأنها منه، وخصها لشرفها.

والإيمان أمر معنوي وليس بكائن حي عاقل متحرك حتى يأرز، وإنما رمز إلى أنهم ينضمون إلى المدينة بلا عوج كما تدخل الحية في جحرها بلا عوج على طريق الاستعارة[7].

---

(1) -المجازات النبوية، الشريف الرضي. ص282.

(2) -الذات الإلهية والمجازات القرآنية والنبوية، سعد رستم. ص78.

(3) -صحيح البخاري، البخاري. كتاب الحج، باب الإسلام يأرز إلى المدينة، (26/3).

(4) -الفائق في غريب الحديث، الزمخشري. حرف الهمزة، مادة (أرز)، (1/ 29).

(5) - المجازات النبوية، الشريف الرضي. ص89.

(6) -عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الحج، باب الإيمان يأرز إلى المدينة (10/ 240).

(7) -فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي. (2/ 324).

عن أبي موسى ﷺ أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقـــاتل للذّكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله، قال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1].

في هذا الحديث سؤال من الصحابي للرسول ﷺ عن المقاتل في سبيل الله، والسؤال دقيق غايـــة الدقـــة، فقد ذكر الأعرابي الدوافع المعروفة من الحصول على المغنم والرغبة في أن يذكر المقاتل، أو يحمد ويرى مكانه، ثم سأل، أي ذلك في سبيل الله؟.

فأجابـــه النبي ﷺ بجواب في غاية الرشاقة والبلاغة النبوية، فهو لا ريب جواب من أبدع الكـــلام وأعلى طبقاته بقوله: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، كلمة جامعة في غاية الإيجاز وهذا الكلام من جوامع كلمة ﷺ لأنه لو أجابه بأن جميع ما ذكره ليس في ســـبيل الله، احـــتمل أن يكون ما عدا ذلك كله في سبيل الله وليس كذلك فعدل إلى لفظ جامع عدل به عن الجواب عن ما هية القتال إلى حال المقاتل، فتضمن الجواب وزيادة[2]

وكـــان يكفيه ﷺ في الجواب أن يقول: «من قاتل ليرى مكانه»، لكنه عبر بقوله «من قـــاتل لتكون كلمة الله هي العليا»، إحمادا عليه وشكرا لصنيعه[3] وكلمة الله في الحديث هي كلمة التوحيد[4].

والحديـــث جاء عن طريق الاستعارة المكنية حيث شبه كلمة التوحيد وهي أمر معنوي بجـــبل مـــرتفع عـــالي بارز للعيان، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الارتفاع والعلو، فأعطى المعنى في تخييل وفي صورة حسية تذهب بالخيال شتى التفكير[5].

---

(1) ـصحيح البخاري، البخاري. كتاب الجهاد، باب من قاتل في سبيل الله. (25/4).

(2) ـفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. (6/ 22).

(3) ـصحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.(12/ 113)

(4) ـإرشـــاد الســـاري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، (5/ 48).

(5) ـأدب الحديث النبوي، بكري شيخ أمين. ص175.

وفي الحديث بيان أن الأعمال إنما تحسنت بالنيات الصالحة، وان الفضل الذي ورد في المجاهدين في سبيل الله يختص بمن قاتل في سبيل الله لتكون كلمة التوحيد هي العليا[1].

وهذا ما يفسره في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2]. عن أبي هريرة ﷺ قال. قال رسول الله ﷺ «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»[3].

والحديث من جوامع الكلم التي اختص بها رسول الله ﷺوقد أوجز فيه، فأبلغ في العظة والتحذير في حكمة لطيفة وبلاغة بالغة بليغة في كلام لم يسبق إليه ﷺقال الخطابي: هذا الحديث لفظه خبر ومعناه أمر، أي ليكن المؤمن حازما حذرا لا يؤتي من ناحية الغفلة، فينخدع مرة بعد مرة وقد يكون ذلك في أمر الدين كما يكون في أمر الدنيا وهو أولاهما بالحذر... وهذا الكلام مما لم يسبق إليه ﷺ وأطلقه بغير فداء فظفر به أحد، فقال من علي وذكر فقره وعياله، فقال لا تمسح عارضيك بمكة وتقول سحرت بمحمد مرتين وأمر به فقتل[4] صورة رائعة في تشبيه ﷺ الغادر بثعبان يلدغ الجسم السلم ويؤذيه، وطوى ذكر المشبه به، وذكر ما هو من خواص المشبه به وهو اللدغ[5]. وهذا القول من طلاوة البلاغة على لفظه ﷺوحلاوة العبارة فيه بادية يدركها ذو الذوق السليم عليه أفضل صلاة الله وأزكى التسليم[6].

عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ«يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من

---

(1) –شرح صحيح مسلم شرح النووي، النووي. (676ه). كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. (13/ 49).

(2) –سورة النساء: 74.

(3) –صحيح البخاري، البخاري. كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من الجحر مرتين، (38/8).

(4) –عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من الجحر مرتين، (22/ 173).

(5) –أدب الحديث النبوي، بكري شيخ أمين. ص210.

(6) –إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (9/ 80).

قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»[1].

الرسول ﷺرؤوف رحيم، ومعلم حكيم يوصي المؤمن ويدعوه إلى التزود من الأعمال الصالحة. فاستخدم هذا الأسلوب في صورة بديعة، حيث شبه ﷺالإيمان وهو أمر معنوي بالجسم وهو أمر محسوس، وحذف المشبه به وأضيف له ما هو من لوازم الجسم وهو الوزن، لأن الإيمان ليس بجسم فيحصره الوزن والكيل، لكن ما يشكل من العقول قد يرد عيار محسوس ليفهم ويشبه به ليعلم[2] .

عن حكيم بن حزام ﷺ قالت. سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى»[3].

في هذه العبارة صورة من أروع ما تكلم به النبي ﷺ حيث شبه الرغبة في المال والميل إليه، وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة، وهذا هو السر اللطيف، لأنه ليس كل ثمرة مأكولة كذلك صفتها لأن في النباتات والثمرات ما يحسن ظاهره ويقبح باطنه ومنها ما تقبح ظاهره وتحسن مخابره لذلك جعل ﷺ المال من قسم النباتات التي تروق في العيون، وتحلو في الأفواه والقلوب[4].

شبه ﷺ المال بفاكهة خضرة حلوة، فالخضرة عبارة عن زهرتها وحسنها وحلاوتها عبارة عن كونه محببا للنفوس مزينة للناظرين ثم حذف المشبه به وذكر ما هو من خواص المشبه به وهو الخضرة والحلاوة.

. والأخضر مرغوب فيه على انفراده والحلو كذلك على انفراده واجتماعهما أشد وفي

---

(1) ـصحيح البخاري، البخاري. كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (1/ 18).

(2) ـعمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (1/ 260).

(3) ـصحيح البخاري، البخاري. كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة. (151/2).

(4) ـالمجازات النبوية، الشريف الرضي، ص282.

الحديث إشارة إلى عدم بقاء هذا المال، لأن الخضروات لا تبقى ولا تراد للبقاء[1].

فما أروع هذا الإخبار منه ﷺ وما أبدعه من كلام. والرسول ﷺ وإن لم يكن في خبره شـــك، يؤكد لنا هذه الأخبار، لتزداد في النفوس ترسيخا، فمن أخذ المال بسخاوة وكرم بارك الله له فيه ومن أخذه بإشراف حرم البركة من الله تعالى.

عـــن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورســـوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[2].

وقـــد ورد الحديث بروايات أخرى فيها اختلاف طفيف في بعض الألفاظ منها «...من أحب عبدا لا يحبه إلا لله...» [3] وفي رواية مسلم «...من كان أن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه...» [4].

والمقصـــود مـــن ذكر هذه الروايات، أني أردت أن أبين أن بلاغته ﷺ لا تقتصر على الحديـــث الواحـــد بل تتجلى في شمول الحديث الواحد بروايات متعددة، وهو كما ترى هناك اختلاف في ألفاظ الحديث دون تؤثر المضمون، لأن كلها تخرج من مشكاة واحدة.

قـــال الإمام النووي: هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام، قال العلماء، -رحمهم الله- معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضى الله عز وجل ورسوله ﷺ وإيـــثار ذلـــك عـــلى عرض الدنيا ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى بفضل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسوله ﷺ [5].

وتأمل هذا السر اللطيف في بلاغته ﷺ وروعة التعبير وجمال التصوير في قوله ﷺ «وجد حـــلاوة الإيمـــان» ففـــي التعبير بحلاوة الإيمان روعة وسحر، وفيه إبراز المعنويات في صورة

---

(1) -فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عند المسألة.(3/ 262).

(2) -صحيح البخاري، البخاري. كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (1/ 12).

(3) -صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار (1/ 13).

(4) -صحيح مسلم، مسلم. كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، (1/ 66).

(5) -صحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، (2/ 13).

المحسوسات، قال البدر العيني: «الحلاوة تكون في المطعومات، والإيمان ليس مطعوما فظهر أن هذا مجاز لأنه شبه الإيمان بنحو العسل وأضاف إليه ما هو من لوازمه وهو الحلاوة على سبيل التخييل»[1].

الإيمان شيء يمكن أن يتذوقه الإنسان بحواسه ويشعر بلذته ولا يجب أن يفارقه، فحلاوة الإيمان استعارة بالكناية، حيث شبه الرسول ﷺ الإيمان بشيء حلو لذيذ الطعم تشتهيه النفوس وتتقبله الأذواق ويرتاح إليه الإنسان، ووجه الشبه الشعور باللذة والمحبة وميل القلب، ثم حذف ﷺ المشبه به، وأثبت له لازم ذلك وهو الحلاوة وفي التعبير إشارة وتلميح إلى قضية المريض والصحيح لأن المريض الصفرواي يجد طعم العسل مرا بخلاف الصحيح، فكلما نقصت الصحة نقص ذوقه بقدر ذلك[2].

ولأن من بلاغته ﷺ الإيجاز، فتأمل في دقة اختياره للألفاظ والمطابقة العجيبة بين الألفاظ والمعاني تُطلعك على مكانة بلاغته ﷺ وامتلاكه زمام اللغة... وقد اختار ﷺ كلمة (الحب) في الحديث دون سواها، فما حسن هذا الاختيار؟ قال الكرماني: اختار ﷺ كلمة (الحب) دون غيرها ليؤكد وجوب الإخلاص في العبادة.

وفي طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ضرورة أن القلب هو مقر العقيدة وموطن الإيمان وهو وحده مركز الحب وافرد الضمير في (أحب) لأنه أفعل تفضيل متصل بمن فيرد دائما"[3].

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال. قال رسول الله ﷺ «الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[4].

هذا الحديث عد من جوامع كلمه ﷺ قال الرضى: «هو القول مجاز لأن الخير في الحقيقة ليس يصح أن تعقد به نواصي الخير، وإنما المراد أن الخير كثيرا ما يدرك بها ويوصل إليه عليها، فهي كالوسائل إلى بلوغه... فكأنه معقود بنواصيها لشدة ملازمته لها وكثرة انتهاز فرصة بها،

---

(1) -عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان. (1/ 149).

(2) -إرشاد السارى لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان. (1/ 12).

(3) -صحيح البخاري شرح الكرماني، الكرماني. كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان. (1/ 100).

(4) -صحيح البخاري، البخاري. الجهاد، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة. (4/ 34).

لأنهم عليها يدركون الطوائل، ويحبون المغانم ويفوقون الأعداء.. ويبلغون العلياء»[1].

وخـــص ﷺ الناصية لرفع قدرها، فكأنه شبّهه لظهوره بشيء محسوس معقود على محل مرتفع. فنسب الخير إلى لازم المشبه وذكر الناصية تجريدا للاستعارة[2].وقال عياض: مع وجيزة لفظـــة مـــن البلاغة والعذوبة فيه إشارة إلى أن المال الذي يكتسب باتخاذ الخير من خير وجوه الأموال وأطيبها والعرب تسمي المال خيرا[3].

فالعبارة النبوية من أعلى درجات البلاغة لأنه جمع المعاني الكثيرة في ألفاظ يسيرة، صورة الخير بحبل معقود على شيء مرتفع عال أي: ملازم لها، كأنه معقود فيها على سبيل الاستعارة المكنـــية. شـــبه الخير لظهوره بشيء محسوس معقود على مكان مرتفع، ونسب الخير إلى لازم المشبه به وهو الناصية

ثانيا: فنية الاستعارة التمثيلية:

الاستعارة التمثيلية كما يطلق عليها علماء البلاغة هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، وهذه أحاديث مختارة.

عـــن أبي هريـــرة رضي الله عنه قـــال. قال رسول الله ﷺ «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ولتنكح فإن لها ما قدر لها»[4] وفي رواية «... لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستكفئ إناءها»[5].

هذه العبارة النبوية لا يراد معناها الحقيقي، وإنما أراد ﷺ تصوير المرأة السالفة الذكر هذه الصورة بإفراغها ما في إناء أختها في إنائها هي. أي: أمالت الإناء إلى نفسها فقلبته لتستفرغ ما

---

(1) ـ المجازات النبوية، الشريف الرضى. ص ص49-50.

(2) ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي. (3/ 511-512).

(3) ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الجهاد، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، (6/ 42).

(4) ـ صحيح البخاري، البخاري. كتاب القدر، باب قوله تعالى ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾. (153/8).

(5) ـ صحيح البخاري، البخاري. كتاب النكاح، باب ما لا يجوز من الشروط في نكاح. (237/3).

فيه وتستأثر عليها به[1].

وقـــد بدأ ﷺ الحديث بالنهي (لا تسأل)، وتقديم الوعيد لتُقَدِرَ النفس قيمة هذا الفعل فتبـــتعد فيه، والفعل المضارع يفيد التجدد، ولكنه سبق بعرف النهي (لا) فإنه يقطع الأمل في تجدده قال النووي: نهى ﷺ المرأة الأجنبية أن تسأل الزوج طلاق زوجته، وأن ينكحها ويصير لها من نفقته، ومعروفه ومعاشرته ونحوها، ما كان للمطلقة فعبر عن ذلك باكتفاء ما في الصفحة مجازا»[2].والمراد بالأخت في الحديث، الأخت في الدين وفي التعبير باسم الأخت تشنيع لفعلها، وتأكيد للنهي، وتحريض لها على تركه وهو علة السؤال[3].

أمـــا قوله ﷺ (لتستفرغ صحفتها) ففيه استعارة بالكتابة قال القسطلاني: هذه استعارة مســـتملحة تمثيلية، شبه النصب والبحت بالصفحة وحظوظها وتمتعها بما يوضع في الصفحة من الأطعمـــة اللذيذة، وشبه الافتراق المسبب عن الطلاق باستفراغ الصفحة عن تلك الأطعمة، ثم أدخل المشبه في جنس المشبه به واستعمل في المشبه ما كان مستعملا في المشبه به من الألفاظ[4] وفي الحديث تأويل إذ أنه ليس ثمة إناء حقيقي ولا إفراغ وإنما هو التقدير بذلك التصوير البديع الذي كان أسلوبه الاستعارة التمثيلية.

عـــن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس، شـــهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»[5].

وفي الحديـــث أراد الرسول ﷺ أن يقرر معنى الإسلام في نفوس المؤمنين، فأتى في تخييل حسن حكيم في هذه الصورة البيانية في تقريب مفهوم الإسلام بأركانه إلى الذهن تقريبا، يكاد يكـــون ملموســـا، غير أن في طي التمثيل زاد في قوة الصورة وضاعف من قيمتها، قال الإمام

---

[1] –المجازات النبوية، الشريف الرضى ص50.

[2] –صحيح مسلم بشرح النوري، النووي. كتاب النكاح. باب. لا تسأل المرأة طلاق أختها. (192/9).

[3] –سنن النسائي، النسائي. كتاب النكاح باب النهي أن يخطب الرجل على خطبة اخيه. (6/ 72).

[4] –إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب النكاح، باب الشروط التي لا تحل في النكاح. (8/ 64).

[5] –صحيح البخاري، البخاري. كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ«بني الإسلام على خمس»، (1/ 10).

القسطلاني: «في الحديث احتمالين أحدهما استعارة بالكناية لأنه شبه الإسلام بمبنى له دعائم، فذكر المشبه وطوى ذكر المشبه به وذكر ما هو من خواص المشبه به وهو البناء ويجوز أن تكون استعارة تمثيلية، فإن مثل حالة الإسلام مع أركانه الخمسة بحالة خباء أقيم على خمسة أعمدة وسطها الذي تدور عليه، شهادة أن لا إله إلا الله وبقيت شعب الإيمان كالأوتاد للخباء[1]. وقد ترى معي في هذه الصورة أقرب ما تكون إلى التمثيل لأن الرسول ﷺ أراد تقوية مفهوم الإسلام في نفوس المخاطبين، فذكر ما ألف السامعون من مشاهدته في بيئاتهم وهو أركان الخباء. فالرسول ﷺ شبه الإسلام ببيت خباء له خمسة زوايا، وتلك الزوايا أجزاؤه فبوجودها أجمع يكون البيت سالما، وعند زوال واحد يخاف على تمام البيت[2].

وأثر هذا الحديث في نفس المسلم هو الحرص على سلامة إيمانه وتعاهده بما يقوله من الأعمال الصالحة، كما تبرز أهمية هذه الدعائم لسلامة البناء.

عن أبي هريرة ﷺ قال. قال رسول الله ﷺ «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[3]. قال البيضاوي: «المقصود من مشروعية الصوم ليس نفس الجوع والعطش بل يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل له ذلك لا ينظر الله إليه نظرة القبول»[4] ولذلك قال ﷺ «فليس لله حاجة» وهذا معناه التحذير من قول الزور أو العمل به.

وفي الحديث استعارة تمثيلية جميلة، حيث شبه ﷺ حالة الله عز وجل مع تلك المبالاة والاحتفال بالصوم بحالة من افتقر إلى أمر لا غنى له عنه، ولا يتقوم إلا به ثم أدخل في المشبه به، واستعمل في المشبه ما كان مستعملا في لفظ المشبه به من لفظ الحاجة مبالغة لكمال الاعتناء والاهتمام[5]. والمراد من هذه الاستعارة التمثيلية هو التحذير من قول الزور وأنه كبيرة من

---

[1]-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ «بني الإسلام على خمس». (91/1).

[2]-سنن النسائي، النسائي. كتاب الإيمان، باب على كم بني الإسلام. (8/ 106).

[3]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم. (32/3).

[4]-صحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به. (9/ 89).

[5]-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب الأدب. باب قوله تعالى ﴿واجتنبوا قول الزور﴾،(9/ 44)

الكـــبائر، لذلك نهى النبي ﷺ عن ذلك في أحاديث أخرى، ولأن ترك بقية المفطرات أسهل من تـــرك الأشد على النفس وهو قول الزور، وكأنه ﷺ أراد من صام على الطعام والشراب وترك الزور وما مثله من الكبائر فليس لله حاجة في طعامه وشرابه.

عـــن عقـــبة بن عمرو بن مسعود ﷺ قال أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمين، فقال: «الإيمان يمان هاهنا، إلا أن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر»[1].

نســـب ﷺ في الحديـــث الإيمان إلى اليمين لأنهم أضعف القلوب وأرق أفئدة فوصفهم بكمـــال الإيمان، لأن من قوى إيمانه بشيء نسب ذلك الشيء إليه. وعبر ﷺ عن المشرق بقوله «حيث يطلع قرنا الشيطان) وغالب من يوجد جهة الشمال غلاظ القلوب والأبدان، وذلك أن الشـــيطان ينتصب في محاذاة مطلع الشمس حتى إذا طلعت كانت بين قرني الشيطان أي جانبي رأسه فتقع السجدة له حين يسجد عبدة الشمس لها[2]. وشبه اختصاص ربيعة ومضر بمزيد من تســـلط الشـــيطان وعمل ما لا يحمد من الأمور، وبطلوع قرني الشيطان وهي الصورة المفزعة والتي لا يظن منها الخير[3].

ثالثا: بلاغة التشخيص بالاستعارة:

إن التصوير بهذا الأسلوب في الحديث النبوي الشريف يبلغ الغاية من الجمال والدقة إلى جانب التصوير الفني الرائع في التعبير عن المعنى المقصود، لما في ذلك من توضيح للمعنى وتسهيل لإدراكه وتقبل النفس والقلب له مع ترسيخه في العقل والفكر والخيال.

ومـــن خصائص الاستعارة التشخيص والتجسيد في المعنويات، وبث الحركة والنطق في الجمـــاد، كما قال الجرجاني: «فإنك لترى بها الجماد حيّا ناطقا والأعجم فصيحا، والأجسام

---

[1]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب بدأ الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال، (2/ 225).

[2]-صـــحيح الـــبخاري، بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب بدأ الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال، (4/ 155).

[3]-من بلاغة الحديث الشريف، عبد الفتاح لاشين. ص58.

الخرسة مبينة والمعاني الخفية جلية...» [1].

وسترى معي بلاغة هذه الصورة الفنية التي رسمتها هذه الأحاديث الشريفة في أقواله ﷺ

إن من خصائص الاستعارة تجسم الأمور المعنوية، وذلك بإبرازها للعيان في صورة شخوص وكائنات حية يصدر عنها كل ما يصدر عن الكائنات الحية من حركات وأعمال.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الملائكة تصلي على أحدكم، ما دام في مصلاه ما لم يحدث، اللهم اغفر له، اللهم أرحمه، لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة»[2].

وفي الحديث صورتان.

أولا صورة الملائكة وهي تصلي وتدعوا (اللهم اغفر له، اللهم أرحمه) قال ابن حجر: وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [3].

وثانيا صورة الصلاة وهي تحبس المصلى أن ينقلب إلى أهله[4].

إنها تستحيل بلمسة من لمسات الاستعارة السحرية إلى إنسان يقف موقف المانع كلما هم المصلي بالخروج من مصلاه منعته وحبسته.

فالصلاة عاصم تحبس صاحبها، ورادع تكفه عن الزلل، فإن لم تحبسه حرمت النفس من الخير الكثير الذي أعده الله لها ولأهل التقوى والإيمان.

عن أبي هريرة ﷺ قال. قال رسول الله ﷺ «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو

---

[1]-أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني. ص41.

[2]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الآذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، (1/ 158).

[3]-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الآذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، (2/ 113).

[4]-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، مصطفى الصباغ. ص301.

عنده فوق العرش، إن رحمتي غلبت غضبي»[1]. وفي رواية «...إن رحمتي سبقت غضبي»[2].

في الحديث الأول تبدو الرحمة في صورة إنسان تبارز الرحمة وتغلبها، ولكن رحمة الله وغضبه لا توصف بالغلبة إحداهما على الأخرى وإنما هو على سبيل المجاز للمبالغة، تقول غلب على فلان الكرم إذا كان هو أكثر خصاله[3]. وفي الحديث الثاني تشخيص الرحمة والغضب في سياق ينتهي في النهاية بفوز الرحمة على الغضب. قال المناوي: المراد من الغضب لازمه وهو إرادة إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب لأن السبق والغلبة لا يسبق بعضها بعض. ورد هذا على الاستعارة، ولا مانع من جعل الرحمة إرادة الثواب والصفات من صفات الفعل لا الذات، فالرحمة هي الثواب والإحسان. والغضب الانتقام والعذاب[4].

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان، ولكن المسكين الذي ليس له غنى ويستحي أو لا يسأل الناس إلحافا» وفي رواية قال: «ليس المسكين الذي يطوف على الناس، ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يوجد غنى يغنيه، ولا يفطن به فيتصدق عليه، ولا يقوم يسأل الناس»[5].

في هذا الحديث تصحيح منه ﷺ لبعض المفاهيم الخاطئة في أذهانهم، وهو أن ليس المسكين الذي يطوف على الناس فيمنعونه ولكن حقيقة المسكين كما وصفه النبي ﷺ وكما ورد في الحديث الذي ليس له غنى يغنيه ويستحي أن يسأل الناس.

والصورة عن طريق التشخيص في قوله ﷺ «ترده اللقمة»، صورة تموج بالحركة والحيوية تبدو فيها اللقمة كإنسان يرد ويدفع[6].

---

(1)-صحيح البخاري، البخاري. كتاب بدأ الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الروم 27، (128/4).

(2)-صحيح البخاري، البخاري. كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، (9/ 151).

(3)-الفتح الرباني، محمدالبنا، كتاب الحدود، باب ما جاء في أن رحمة الله تعالى سبقت غضبه. (19/ 344).

(4)-فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي. (4/ 481).

(5)-صحيح البخاري البخاري. كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾. (2/153-154).

(6)-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، مصطفى الصباغ. ص343.

عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان في غزاة فقال: «إن أقواما بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر»[1].

خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك في وقت عصيب، وعند الرجوع من الغزوة أخبر ﷺ أصحابه أنهم تركوا ناسا بالمدينة، أقعدهم المرض عن الخروج للقاء العدو، ولولا ذلك العذر لكانوا معهم[2].

وقد اختار الرسول ﷺ لفظة العذر دون المرض. ولأن العذر أعم من المرض فيشمل عدم القدرة على السفر وغيره وهذا من بلاغته ﷺ[3].

كما عبر ﷺ عن المشاركة في الثواب والمساواة في الفضل في قوله: «إلا وهم معنا» قال البدر العيني معناه أنهم شركاء في الثواب[4].

والصورة في الحديث تعتمد على التشخيص، فالعذر قد تجسم في صورة إنسان يصدر عنه كل ما يصدر عن الكائنات من حركات وتصرفات.

عن عبد الله ﷺ قال. خط النبي ﷺ خطا مربعا وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: «هذا الإنسان وهذا أجله محيط به –أو قد أحاط به– وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا»[5].

المراد بالأعراض في الحديث أعراض الدنيا، وهي ما تعرض فيها من المصائب تطرق من النوائب، وشبهها ﷺ بالحيات الناهشة لأخذها من لحم الإنسان ودمه وتأثيرها في نفسه وجسمه[6].

---

[1]–صحيح البخاري، البخاري. كتاب الجهاد، باب من حبسه العذر عن الغزو. (4/ 31).

[2]–المرجع السابق، ص384.

[3]–إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب الجهاد، باب فضل من حبسه العذر عن الغزو، (5/ 53).

[4]–عمدةالقارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الجهاد، باب من حبسه العذر عن الغزو، (14/ 133).

[5]–صحيح البخاري، البخاري. كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، (8/ 110).

[6]–المجازات النبوية، الشريف الرضي. ص99.

وعـــبر ﷺ بالـــنهش. وهو لدغ السم مبالغة في الإصابة والإهلاك[1]. قال الزمخشري: النهش يكون بالأضراس والنهس يكون بأطراف الأسنان[2].

فالأعـــراض في الحديث تستحيل بفعل الاستعارة إلى حيوان له أنياب وأضراس، والنهش من لوازم الحيوان ونسبه إلى الأعراض والخطوط تخييل، يذهب فيه الذهن ما يذهب ويقرر المعنى ويؤكد الغاية.

فمن لم يمت بالأعراض لا بد أن يموت الموت الطبيعي وحاصله أن ابن آدم يتعاطى الأمل ويختلجه دون الأمل[3].

هـــذه الصورة التي تموج بالحركة والمشاعر المختلفة هي وليدة التشخيص التي استخدمها الرسول ﷺ إلى حد يجعل المتملى لها يتولاه الذهول، والعجب من هول المنظر الذي يراه ماثلا أمام عينيه.

عن ابن عمر ﷺ قال. قال رسول الله ﷺ

«إذا صـــار أهـــل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والـــنار، ثم يذبح ثم ينادي منادي، يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم»[4].

المـــوت عـــرض من الأعراض ومعنى، فكيف يصبح عليه المجيء والذبح، قال القرطبي: «يأتى بالموت في صورة كبش ليشاهدوه بأبصارهم، ويكون ذبحه دليلا على الخلود في الدارين، وقال غيره، لا مانع أن ينشئ الله من الأعراض أجساما، فيكون تجسيمه وتجسيده حقيقة»[5].

والحديـــث يصـــور لـــنا الموت قد استحال إلى كبش في صورة محسة حية، وربما كان التشـــخيص الدقيق النابع من البصيرة النافذة، وهي أبلغ في التصوير، لأنه ينقل إلينا أمام أعيننا

---

[1]-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، (11/ 198).

[2]-الفائق في غريب الحديث، الزمخشري. مادة (نهش)، (3/ 338).

[3]-صحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب الرقاق، مادة في الأمل وطوله. (22/ 195).

[4]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار. (8/ 142).

[5]-فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي. (3/ 319).

المشهد حتى يكاد الشخص يحسه بحواسه.

ومن خصائص الاستعارة أيضا المبالغة عن أبي عمر ﷺ قال. قال رسول الله ﷺ

«إذا طلـــع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يغيب، ولا تحينو ا بصلاتكم طلوع الشمس، ولا غروبها، فإنها تطلع بين قرني شيطان، أو الشيطان. لا أدري ذلك. قال هشام»[1].

فالشمس تتحول بالتوسع الذي هيأته الاستعارة إلى إنسان له حاجب والحاجب حقيقة لعـــين الإنســـان وقد استعير للشمس مبالغة، وفي اللغة حاجب الشمس قرنها وهو ناحية من قرصها حين تبدأ في الطلوع[2]. وقيل هو ظرف قرص الشمس الذي يبدو عند الطلوع ويغيب عند الغروب[3].

وفي هذه العبارة أراد ﷺ النهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها. قال الرضي: «شـــبه الشمس عند صعودها بالطالع من وراء ستر يستره، أو غيب يطمره فأول ما يبدو منه وجهـــه، وأول مـــا يبدو من مخاطيط وجهه حاجبه، ثم بقية وجهه ثم سائر جسده شيئا فشيئا وجـــزءا جـــزءا، فكأنه ﷺ نهى عن الصلاة عند ظهور بعض الشمس للعيون حتى يظهر جميعا وعـــند مغيب بعضها والمراد الثاني هو أن يراد ما يبدو من شعاعها قبل أن يغيب قرصها، فأقام ﷺ لها مقام الحاجب لأنه يدل عليها[4].

عـــن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «...ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[5].

نحن هنا أمام يد ليست كالأيدي، إنها يد تعلم وتتصرف،يد تأخذ الصدقة وتنفقها حتى لا تعلم اليد الأخرى عما فعلت أختها، فلو كانت الشمال لها عينان تبصران بهما، لما أبصرت

---

[1]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده. (149/4).

[2]-لسان العرب، ابن منظور. مادة (حجب). (2/ 777).

[3]-سنن النسائي، النسائي. كتاب الصلاة، باب أول وقت العصر. (1/ 285).

[4]-المجازات النبوية، الشريف الرضي. ص274.

[5]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين. (138/2).

ما تصدقت به اليمنى.

وخـــص ﷺ المثل بهما لقرب اليمين بالشمال وملازمتها لها، ومعناه لو قدرت الشمال رجلا متيقظ لما علم صدقة اليمين مبالغة في الإخفاء[1].

والمراد بهذه الاستعارة هو المبالغة في صفة كتمان نفقته وإخفاء الصدقة، فإذا كانت شماله لا تعلم، فأجدر لا يعلم بذلك غيره[2].

ومن خصائص الاستعارة أيضا بث الحياة والنطق في الجماد.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«اختصمت الجنة والنار إلى ربهما، فقالت الجنة، يا رب مالها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم وقالت النار، يعني- أوترت بالمتكبرين، فقال الله تعالى للجنة أنت رحمتي، وقال للنار أنـــت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها. قال: فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا، وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها، فتقول: هل من مزيد، ثلاثا، حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ، ويرد بعضها إلى بعض، وتقول، قط، قط، قط.» [3].

وفي الحديث صورة عن طريق التشخيص، فكل من الجنة والنار جماد تحول بالتوسع الذي هيأته الاستعارة إلى إنسان ناطق.

صورة طريفة تقوم على الحوار، فالجنة والنار شخصان يتكلمان وهنا يأتي الحكم الرباني، فالجنة رحمة الله يرحم بها من يشاء، والنار عذاب الله يعذب بها من يشاء[4].

عن أنس ﷺ قال. قال رسول الله ﷺ

---

[1]-سنن النسائي، النسائي. كتاب الزينة، باب الإمام العادل. (8/ 224).

[2]-المجازات النبوية، الشريف الرضي. ص299.

[3]-صـــحيح الـــبخاري، البخاري. كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ، الأعراف 56، (9/ 164).

[4]-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، مصطفى الصباغ. ص203.

«هـــذا جبل نحبه ويحبنا»[1]. فجبل أحد هذا الجماد قد استحال بسحر الاستعارة إلى إنسان يجيش قلبه بعاطفة الحب[2].

اتضـــح لنا من خلال هذا الفصل أن جمالية استعمال المجاز والاستعارة وحسن التصوير بهما يكسبان المعنى قوة ووضوحا وجلاء ويبرزان الفكرة في لوحة بديعة جميلة. وما يزيد المعنى وضوحا والتصوير حسنا هو تلك الدقة في التصوير وذلك البث للحياة في الجماد مما يضفي على البلاغة النبوية عموما طابعا جماليا فريدا ومتميزا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1]-صحيح البخاري بشرح السندي، البخاري. كتاب الجهاد، باب فضل الخدمة في الغزو، (42/4).

[2]-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، مصطفى الصباغ. ص559.

الفصل الثالث:

الكناية في الحديث النبوي الشريف

المبحث الأول: أبعاد الكناية في الحديث النبوي الشريف

المبحث الثاني: الكناية عن المعاني بالصور الحسية في الحديث النبوي الشريف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: أبعاد الكناية في الحديث النبوي:

كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما يفهمونه ويقرب الكلام إلى أفهامهم ويستعمل الكناية وغيرها. ولذلك شاع الأسلوب الكنائي في حديثه ﷺ فكثرت تلك الكنايات اللطيفة التي يضمنها الكثير من عباراته. وذلك في كل موضع يتطلبه التعبير ويفضي إليه.

والكناية كما قال لاشين: «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة. ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه».[1]

وللكناية من الأثر ما للتشبيه والاستعارة قال السكاكي: «واعلم أن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة. وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر».[2]

ولن التزم بتقسيمات علماء البلاغة للكناية. ولكن سأورد نماذج في بيانه ﷺ فتناولت في المبحث الأول أبعاد الكناية في الحديث النبوي الشريف. وفي المبحث الثاني تناولت الكناية عن المعاني بالصور الحسية في الحديث النبوي الشريف.

أولا: البعد التربوي النفسي بالكناية

هناك ألفاظ تعافها الأذواق، وتمجها الأذان، والرسول ﷺ ينأى بحيائه المعلم عن كشف العورة باللفظ الصريح تأكيداً لسترها الواجب. وهذه أحاديث مختارة من بيانه ﷺ التي يزخر بها أسلوب الكناية في البيان النبوي الكريم، وما مدى فضل الكناية عن العبارة النبوية.

عن عائشة –رضى الله عنها– أن رفاعة القرضيَّ تزوج امرأة ثم طلقها– فتزوجت آخر فأتت النبي ﷺ فذكرت له أنه لا يأتيها، وأنه ليس معه إلا مثل هدبةٍ فقال: «لا حتى تذوقي

---

(1)–البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين. ط(1985م). دار المعرفة– القاهرة. مصر.ص17.

(2)–مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف أبي بكر علي السكاكي)ت626هـ). ت: نعيم زرزور. ط2. (1407هـ، 1987م). دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. ص412.

عسيلته، ويذوق عسيلتك».[1]

في هذه العبارة النبوية تشبيه ﷺ الجماع بذوق العسل، فاستعار له ذوقا، والعسيلة ماء الرجل والنطفة تسمى العسيلة.[2]

وهذا كناية عن الجماع شبه لذته بلذة العسل وحلاوته[3] وإنما صغر النبي ﷺ لفظة العسيلة إشارة إلى القدر الذي يتحلل وإرادة المرأة بالهبة. المرة الواحدة. تعنى أن العسيلة قد ذيقت بالوقاع مرة[4].

وهكذا تكون هذه الكناية من أروع ما يتخذ أفصح العرب من وسائل البيان. وجمع البيان النبوي بكناية خفيفة من اللفظ ما يملأ الميزان.

والمتأمل في هذه العبارة (حتى يذوق عسيلتك) يرى كيف أدت المعنى بكامله فالألفاظ قليلة إذ لم يصرح بالاسم، ولو عبر بأسلوب الحقيقة لجاءت الصياغة بكلام يستحيا من ذكره.

وبلاغة هذا التعبير وهذا الأدب يعود إلى رفقة الأدب النبوي الذي هو من أدب القرآن الكريم[5] قال تعالى في هذا المعنى :﴿وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[6].

والرسول ﷺ لم يصرح بهذه الألفاظ تصريحاً مباشراً، وإنما جاء به عن طريق الأسلوب الكنائي، وضرب الحجاب اللغويّ على هذه المعاني السافرة. لأنها هنا أليق وأوضح.

عن عائشة-رضي الله عنها- أن امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ كيف اغتسل من المحيض؟ قال: «خذي فرصة ممسكة فتوضئ ثلاثا»، ثم إن النبي ﷺ استحيا فأعرض بوجهه أو

---

[1]-صحيح البخاري؛ البخاري. كتاب الطلاق، باب إذا طلقها ثلاث ثم تزوجت بعد العدّة زوجا غيره. (73/7).

[2]-لسان العرب، ابن منظور، مادة(العسل). (2946/4).

[3]-صحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب الرضاع. باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره. (3/10).

[4]-المجازات النبوية، الشريف الرضى. 282.

[5]-الخصائص الفنية في الأدب النبوي، سعد الدبل. ص210.

[6]-سورة البقرة: 235.

قال «توضئ بها» فأخذتها فجذبتها فأخبرتها بما يريد النبي ﷺ[1]. وفي رواية أخرى عنها. قال: «خذي فرصة من مسك فتطهري بها» قالت كيف أتطهر؟ فقال: «تطهري بها». قالت: كيف. قال: «سبحان الله تطهري» فاجتذبتها إلي. فقلت. تتبعي بها أثر الدم.[2]

في الحديث إشارة لما كان عليه ﷺ من حسن خلقه وعظيم حلمه وعفته. زاده الله تشريفاً وتكريماً وتعظيماً. فانظر إلى استعماله للكناية فيما يتحاشى التصريح به في قوله ﷺ (خذي فرصة من مسك فتطهري بها). قال ابن الأثير: هذه كناية عن الفرج على طريق الإرداف لأن أثر الدم في الحيض لا يكون إلا في الفرج فهو رداف له.[3]

ومن مزيد احتشامه وعظيم حيائه قال ﷺ (سبحان الله) تسبيحاً لله. وهذا تعجبا من أمرها، وأعرض عنها ﷺ حياءا[4] لأنه أشد حياءاً من العذراء في خدرها.

قال الكرماني: فيه التعريض في الأمور المستوردة وفيه جواز التسبيح عند التعجب[5] ومعنى التعجب في الحديث أي كيف يخفى هذا الظاهر، والذي لا يحتاج إلى فكر وهو كناية فيما يتعلق بالعورات والاكتفاء بالتعريض إلى الأمور المستهجنة. وتكرار الجواب منه ﷺ هو لإفهام السائل. وقد ذكر النبي ﷺ لكونها لم تفهمه ولأن الجواب يؤخذ من إعراضه بوجهه في الحديث الأول. عند قوله ﷺ (توضئ) أي في المحل الذي يستحي مواجهة المرأة به فاكتفى بلسان الحال من لسان المقال، ولذلك فهمت عائشة-رضى الله عنها- فتولت تعليمها.[6]

عن أن عباس ﷺعن النبي ﷺ قال: «إما إن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم اللهم جنبنا

---

[1]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الحيض. باب. غسل المحيض. (82/1).

[2]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الحيض. باب. ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض وكيف تغتسل وتأخذ فرصة ممسكة. (82/1).

[3]-المثل السائر، ابن الأثير. (66/3).

[4]-الفتح الرباني، أحمد عبد الرحمن البنا. كتاب الحيض. باب كيفية غسل الحيض والنفساء. (167/1).

[5]-صحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب الحيض. باب ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من الحيض (181/3).

[6]-فتح الباري شرح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الحيض. باب ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض. (330/1).

الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان».[1]

سلك النبي ﷺ في هذا الحديث المنهج التعليمي لأمته منذ اللحظة التي يتحمل أن يكون بين الزوجين ولد من أثر اللقاء الجنسي. فالرسول ﷺ أرشدنا في هذا الحديث إلى الدعاء لتحصين الولد المنتظر من الشيطان قبيل ممارسة هذا اللقاء.[2]

وإن من رفعة آدابه تلك الصورة الجميلة في قوله ﷺ (إذا أتى أحدكم أهله). كناية عن الجماع[3]. وهي أبلغ الكنايات النفيسة في كلامه ﷺ عن سهل بن سعد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة».[4]

بعبارة وجيزة قصيرة تحمل معانٍ كثيرة، وكل عبارة تحتاج إلى شرح ومع آداب الخطاب التي كان رسولنا ﷺ يستعملها. ففي قوله (مابين لحييه) و(بين رجليه) كنايتان.

قال ابن مجر في معناه: إشارة ﷺ إلى اللسان والفرج. وخصهما بالذكر لأنهما مناط الشهوة ومثار اللذة[5].

أطلق ﷺ لفظ الضمان عليه مجازاً. إذ المراد لازم الضمان وهو أداء الحق الذي عليه. فمن أدى الحق الذي على لسانه من ترك الكلام. والحق الذي على فرجه من ترك الزنا أو أدى حقه[6].

ومع وجيز لفظه من العذوبة والبلاغة يجمع البيان النبوي بكناية في موضعها ما يملأ الميزان وما يدخل المؤمن دار الأمان وما يشبع الفكر بحفظ الفرج واللسان.

---

(1)-صحيح البخاري، البخاري. كتاب بدأ الخلق. باب صفة إبليس وجنوده. (149/4).

(2)-الخصائص الفنية في الأدب النبوي، سعد الدبل. ص79.

(3)-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الضوء. باب التسمية على كل حال وعند الوقاع. (269/2).

(4)-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الرقاق. باب حفظ اللسان. (125/8).

(5)-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الرقاق. باب حفظ اللسان. (259/11).

(6)-صحيح البخاري شرح الكرماني، الكرماني. كتاب الرقاق. باب حفظ اللسان (3/23).

ثانيا: البعد الاجتماعي بالكناية:

عنى الرسول ﷺ بالتكافل الاجتماعي الذي ينبغي أن يسود بين المسلمين. وهذا انطلاقاً من إصلاح الفرد.

فعن أبي هريرة ﷺ قال النبي ﷺ :

«إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها ولا يثرب، ثم إن زنت فليجلدها ولا يثرب ثم إن زنت الثالثة فليبعها ولو بحبل من شعر».[1] وفي رواية أخرى عن أبي هريرة وزيد خالد –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ سئل عن الأمة إذا زنت و لم تحصن ؟ فقال: «إذا زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم بيعوها ولو بضفير».[2] في هذا الحديث الشريف توجيه منه ﷺ للوقاية ولرعاية الفرد والمجتمع من الانحراف الأخلاقي. فيحذر ﷺ من تفشي ظاهرة الزنا داخل المجتمعات. وشدد العقوبة لفاعلها.

فالزنا يفسد الإنسان. ونوع الإنسان هو أشرف المخلوقات... ولذلك كرر ﷺ لفظ الزنا في جوابه للسائل. ليفيد إقامة الحد عليه مطلقاً، وأنه من زنى فأقيم عليه الحد ثم عاد أعيد عليه بخلاف من زنى مراراً فإنه يكتفي فيه بإقامة الحد عليه مرةً واحدة على الراجح[3].

فإن عادت فعلتها. فليضربها الحد ولا يبوخها ولا يقرعها بالزنا بعد الضرب، وهناك من قال أراد ﷺ بلا يقنع في عقوبتها بالتثريب بل يحدها. فإن زنا الإماء لم يكن عند العرب مكروماً ولا مبكراً فأمرهم بحد الإماء. كما أمرهم بحد الحرائر. وظاهر الحديث أن للسيد إقامة الحد على رقيقه[4].

وفي الحديث توجيه من النبي ﷺ لأمته وتعليمهم فضيلة الستر على الآخرين وهذا في قوله ﷺ (فليجلدها ولا يثرب). والتثريب هو اللوم.[5]

---

[1]–صحيح البخاري، البخاري. كتاب البيوع. باب بيع العبد الزاني. (88/3).

[2]–صحيح البخاري، البخاري. كتاب المحاربين من أهل الردة والكفر. باب إذا زنت الأمة. (213/8).

[3]–فتح الباري شرح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة. باب إذا زنت الأمة. (138/12).

[4]–فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب البيوع. باب بيع العبد الزاني. (294/4).

[5]–عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب البيوع. باب بيع المدبر (51/12).

وقد أتى النبي ﷺ بحرف العطف (ثم بيعوها) لأن الترتيب في الكلام مطلوب لمن يريد التمسك بأمته الزانية[1].

أمر ﷺ ببيع الأمة الزانية ولو بحبل أو ضفير من شعر. والضفير هو الحبل المنسوج أو المفتول. [2] وهذا كناية عن التزهيد في فعلها والتنفير عنها وعن مثلها لما في ذلك من الفساد الاجتماعي.[3]

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة».[4]

الرسول ﷺ بحث على صداقة بين الأفراد لأن الهداية لها بعد اجتماعي بعيدة وهو تحقيق التكافل بين أفراد المجتمع.

فلا تمنع جارة من الإعطاء لا جل قلته. قال البدر العيني: النهي في الحديث يحتمل وجهين إما للمعطاة المتصدق عليها، وإما للمعطية أي لا تمنع جارة من الصدقة لجارتها لاستقلالها واحتقارها بل تجود بما تيسر. [5]

وقد استعار ﷺ الفرس للشاة وهو للبعير في الأصل وقيل هو أعظم الظلف[6] والحديث كناية عن التحابب والتوادد، فكأنه ﷺ قال : لتوادد الجارة جارة بهدية ولو حقرت، فساوى بذلك الغنى والفقير، وسر تخصيص ﷺ النساء، لأنهن موارد المودة والبغضاء، ولأنهنَّ أسرع انفعالا في كل منهما[7].

---

(1)-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة. باب إذا زنت الأمة. (10/28،29).

(2)-صحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب البيوع. باب بيع العبد الزاني.(10/34).

(3)-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، عز الدين كمال. ص566.

(4)-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الأدب. باب لا تحقرن جارة لجارتها. (8/13).

(5)-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الأدب. باب لا تحقرن جارة لجارتها (22/110).

(6)-أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني. ص56.

(7)-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الأدب. باب لا تحقرن جارة جارتها. (10/365).

والرسول ﷺ يرشدنا إلى ما يعظم الأجر عند الله، ويترع السخائم من النفوس. وبالإحسان إلى الجار بالهدية. وقد أوصى الله تعالى بالجار في قوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[1]. وقد أمر ﷺ بالهداية للجار الأقرب. فعن عائشة –رضى الله عنها– قالت: قلت يا رسول الله إن لي جارين فإلي أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك باباً»[2] . فعلى المسلم ترويض نفسه على البدل والعطاء. فكلما انفق تطلعت نفسه من جديد إلى مزيد من الإنفاق والإعطاء.

عن أبي هريرة ﷺ. عن النبي ﷺ قال:

«لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع أو كراع لقبلت»[3] .

وفي هذا الحديث يحثنا ﷺ إلى قبول الدعوة والهدية من الآخرين. لأن الدعوة لا يبعث عليها إلا صدق المحبة. والهدية وإن قّلت فيها من التآلف الاجتماعي الذي هو قوام الأقوام وبه نظام العالم. قال ابن حجر: خص ﷺ ذكر الذراع والكراع ليجمع بين الحقير والخطير. لأن الذراع كانت أحب إليه ﷺ من غيرها. والكراع لا قيمة له[4].

إن القليل من الهدية جائز لما فيه من استجلاب المودة وإذهاب الشحناء. ولما فيها من التعاون على أمر المعيشة.

والهدية إذا كانت يسيرة فهي أدل على المودة واسقط للمؤنة. وأسهل على المهدى لا طراح التكاليف. والكثير لا يتيسر كل وقت، والمواصلة باليسير تكون كالكثير[5] .

والحديث أرشدنا إلى قبول الهدية. وربما رد الهدية يحدث النفر والعداوة بين الأفراد

---

(1)–سورة النساء: 36.

(2)–صحيح البخاري، البخاري. كتاب الأدب. باب حق الجوار في قرب الأبواب. (13/8).

(3)–صحيح البخاري، البخاري. كتاب الهبة. باب القليل من الهبة. (190/3).

(4)–فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الهبة. باب القليل من الهبة. (152/5).

(5)–عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، الدر العيني. كتاب الهبة وفضلها. باب الهبة وفضلها والتحريض عليها. (126/13).

والصورة الجميلة في الحديث هو تعبيره ﷺ بالكراع والذراع وهو كناية عن الشيء اليسير مبالغةً في الإجابة مع حقارته[1].

عن زينب التقفية امرأة عبد الله بن مسعود ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ

«تصدقن ولو من حليكن» فلم يستثني صدقة الفرض من غيرها. فجعلت المرأة تلقى خرسها وسخابها، ولم يخص الذهب والفضة من العروض [2].

وفي هذا توجيه من النبي ﷺ للنساء وأمرهن بالصدقة ولو بالأمور التي لا تستغني عنها امرأة وهي الحلي.... مما يدل على ضرورة تصدق المرأة.

والرسول ﷺ أكثر من موقف أمر النساء فيه بالصدقة رغبة منه ﷺ في تربيتهنَّ والسُّمو بهنَّ، وتخليصهنَّ من النّار. وفي قوله ﷺ (ولو من حليكن). كناية عن ضرورة الصدقة ولو من الأشياء التي لا تجود بها المرأة عادة[3].

عن عدي بن حاتم ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«اتقوا النار ولو بشق تمرة»[4].

وفي هذه الكلمات الموجزة يرسم لنا ﷺ طريق الخلاص والنجاة من النار. ويسن طريقة الخلاص من النار. وهو يحثنا على الصدقة وأن لا يمتنع أحد منها لقلتها. وأن لا يحتقر ما يتصدق المسلم به. وأن قليلها سبب النجاة من النار[5].

فعلى المسلم التصدق ولو بنصف تمرة. بل ولو بلغ النهاية في القل فإنه ينفع إذا قارنه صاحبه بالإخلاص. وقد بين ﷺ ذلك بقوله (ولو بشق تمرة). وهو كناية عن الشيء القليل مبالغة في الاتقاء من النار.

---

[1]-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، مصطفى الصباغ. ص567.

[2]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الزكاة. باب العروض في الزكاة. (144/2).

[3]-المرجع السابق، ص334.

[4]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الزكاة. باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة. (246/1).

[5]-صحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب الزكاة. باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة. (101/7).

وخص ﷺ ذكر التمرة في الحديث دون غيرها لأن التمر غالب قوة أهل الحجاز. والاتقاء من النار كناية عن محو الذنوب[1].

ثالثا: البعد التشريعي بالكناية:

كان ﷺ يستخدم أسلوب الكناية في بلاغة رائعة جميلة في كثير من الأحاديث التي تمليها طبيعة حياته ﷺ بين المسلمين كمبرر للدخول في أمور شرعية.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل»[2] .

والحديث كناية عما يوجب الغسل من اتصال الجنسين أرأيت إلى الاقتصار على قوله ﷺ (بين شعبها) دون أن يبين المطلوب.

وهذا من حسن كلامه ﷺ ولطف خطابه، واستعمال اللفظ الجميل موضع اللفظ الذي يستحيا منه. هو من سمو بلاغته ﷺ

ومعنى (شعبها) في اللغة نواحيها. وقيل يداها ورجلاها. وقيل نواحي الفرج الأربع وضمير (جلس) يعود للواطئ وضمير (شعبها) يعود للمرأة. وأحيل التعيين إلى قرينة المقام[3] .

وأما قوله ﷺ (ثم جهدها) فقد جاء في لسان العرب أن الجهد كناية عن معالجة الإيلاج وقيل هو من أسماء النكاح [4].

ومعنى الحديث «أن إيجاب الغسل على الرجل والمرأة. وهذا لا خلاف فيه اليوم. وقد كان فيه خلاف لبعض الصحابة ومن بعدهم. ثم انعقد الإجماع عليه. وفِعله ﷺ يقيد الوجوب ولولا ذلك لم يحصل جواب السائل»[5].

---

[1]-فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي. (138/1، 139).

[2]-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الغسل. باب إذا التقى الختانان. (77/1).

[3]-سنن النسائي، النسائي. كتاب الطهارة. باب وجوب الغسل إذا التقى الختانان(110/1).

[4]-لسان العرب، ابن منظور. مادة (جهد)(709/1).

[5]-صحيح البخاري بشرح النووي، النووي. كتاب الطهارة. باب أن الجماع كان في أول الإسلام لا يجب الغسل(41/4

فعن أبي كعب رضى اله عنهما قال: يا رسول الله إذا جامع الرجل المرأة فلم يترل قال: «يغسل ما مس المرأة منه ثم يتوضأ ويصلي»[1]. قال ابن حجر: المراد باللمس في الحديث قبل الإيلاج، لأنه لا يتصور عند غيبة الحشفة. ولو حصل المس قبل الإيلاج لم يجب بالغسل إجماعا[2].

وقد أراد ﷺ أن يبن حكم الشرعي وهو وجوب الغسل إذا التقى الختانان. فعدل إلى أسلوب الكناية للاجتناب عن التفوه بما يفحش ذكره صريحاً[3].

عن أبي سعد الخذري ﷺ أن رسول الله ﷺ أرسل إلى رجل من الأنصار فجاء ورأسه يقطر. فقال النبي ﷺ:«لعلنا أعجلناك». فقال نعم فقال رسول الله ﷺ: «إذا أعجلت أو قحطت فعليك الوضوء»[4].

أراد ﷺ بهذه العبارة تبيان حكم شرعي عن طريق هذا السؤال(لعلنا أعجلناك) قال النوري رحمه الله: الإقحاط عدم نزول المنى وهو استعارة من قحوط المطر وهو انحباسه وقحوط الأرض هو عدم إخراجها النبات[5]

وقال الكرماني: ليس قوله ﷺ أو للشك بل هو لبيان عدم الإنزال سواء كان بحسب أمر من ذات الشخص أم لا وهذا بناء على أن أحدهما بالتعدية وإلا هي للشك[6]

وقولهﷺ (لعلنا أعجلناك). استعمل لعل وهي تحتمل الإشفاق أو التحقيق وهما محتملان في السؤال ﷺ الذي يرمز به إلى ما يكون الاغتسال منه والرسول ﷺ إنما سأله ليقر أمراً يتخذ

---

(1)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الغسل. باب غسل ما يصيب فرج المرأة .(78/1).

(2)-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الغسل. باب غسل ما يصيب فرج المرأة (316/1).

(3)-صحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب الغسل. باب إذا التقى الختانان (152/3).

(4)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الوضوء. باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين.(54/1).

(5)-صحيح مسلم بشرح النوري، النوري. كتاب الطهارة. باب بيان أن الجماع كان في أول الإسلام لا يجب الغسل. (41/4).

(6)-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الوضوء. باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين. (228/1).

من تطوره تشريعاً للمسلمين وإلا لما أحرجه من السؤال[1]

هذه الحاديث من محاسن البيان النبوي الذي يزخر بها أسلوب الكناية فالرسولﷺ لم يصرح بهذه الألفاظ والأسماء وفق منهجه في إخفاءٍ. تجنباً للإحراج وحسن الكناية عمّا يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي يحسن التصريح. وهو من حسن أخلاقه وسمو فصحاته ﷺ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]-الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، كمال عزالدين. ص220.

المبحث الثاني: الكناية عن المعاني بالصور الحسية

كان من خصائص بلاغة النبي ﷺ مخاطبة العرب بما ترتضى إليه مداركهم ويدني إليهم النص من المعاني بما يصوغه لهم من قوالب الحس لتناوله أفهامهم. وهذه بعض النماذج النبوية:

أولا: الكناية بالأعداد

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ :

«إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها»[1].

في الحديث يصور لنا الرسول ﷺ رحمة الله تعالى الواسعة الكبيرة بعباده مستخدماً ذلك لغة الأرقام لتقريب المفاهيم وإبرازها للعيان.

والصورة في الحديث تعتمد على مضاعفة الأجر والثواب كما قررها النبي ﷺ فمن يعمل حسنة فله عشر أمثالها أو يزيد ربنا مضاعفةً. وجزاء من يعمل سيئة مثلها أو يغفر الله له.

والتضعيف في اللغة هو الزيادة عن أصل الشيء فيجعل بمثلين أو أكثر[2] جاء في الكشاف مضاعفات الحسنات فضل، ومكافآت السيئات عدل. قال الكرماني: وهذا ليس غاية للتضعيف بل يجاوزه إلى أضعاف كثيرة. فقوله(عشر حسنات) مطابق لقوله تعالى﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وقوله (إلى سبعمائة ضعف) أي مثل والضعف يطلق على المثل والمثلين إلى أضعاف كثيرة مطابق لقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وهذا من فضله على عباده[3].

فتواب الحسنة مضاعفا إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة فالأرقام تعني التكثير لا التحديد وهي هنا في الحديث كناية عن رحمة الله تعالى بتضعيف الأجر إلى أضعاف كثيرة [4].

ولولا الفضل العظيم لم يدخل أحد إلى الجنة لأن السيئات من العباد تتجاوز الحدود. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه

---

[1]-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الإيمان. باب حسن إسلام المرء. (18/1).

[2]-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب الرقاق. باب من هم بحسنة أو سيئة. (281/9).

[3]-صحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب الرقاق. باب من همّ بحسنة أو سيئة. (13/23).

[4]-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، مصطفى الصباغ. ص5

إلاَّ المسجد الحرام»[1].

إن أجر الصلاة في مسجد الرسول ﷺ خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام قال الطحاوي: «الصلاة في المسجد النبوي تزيد على ثواب ألف صلاة فيما سواه»[2].

وهذا التضعيف يرجع إلى الجزاء لا إلى الأجزاء عن الفوائت خاصة بمسجده ﷺ فإن الصلاة فيه أفضل من المسجد[3] وقوله ﷺ (خير من ألف صلاة) أراد بها التكثير لا التحديد.

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»[4] .

تتجلى لنا في هذا النص سعة رحمة الله تعالى بعباده يوم القيامة فجعل الرحمة مائة جزء وأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل جزءاً واحد إلى الخلائق في الأرض.

فهذه الرحمة بين الخلائق هي جزءاً واحداً من تسعًا وتسعين من رحمة الله وقد صورها الرسول ﷺ بالأرقام تقريباً إلى الأفهام.

ورحمة الله غير منتهية وحصرها في المائة على سبيل التمثيل تسهيلاً للفهم وتقليلاً لما عندنا وتكثيراً لما عنده سبحانه وتعالى وأطلق هذا العدد الخاص لإرادة التكثير [5] .

عن عبد الله ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

«صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»[6]. وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:«صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه خمساً وعشرين درجة. فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة

---

(1)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الجمعة. باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. (76/2).

(2)-صحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب التهجد. باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. (14/7).

(3)-هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، الطهطاوي. (368/1).

(4)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الأدب. باب جعل الله الرحمة مائة جزء.(19/8).

(5)-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الأدب. باب جعل الله الرحمة مائة جزء. (101/22).

(6)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الصلاة. باب فضل صلاة الجماعة. (157/1).

حتى يدخل المسجد. وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه وتصلى-يعنى عليه الملائكة- ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم أرحمه ما لم يحدث فيه»[1] .

في هذا الحديث يبين ﷺ ثواب صلاة الجماعة وأنها تزيد في أجر الثواب على صلاة المنفرد.

والفذ في الحديث الأول هو الفرد والمعنى أن صلاة الواحد مع الجماعة يزيد ثوابه على صلاته وحده بـ 27 ضعفا وقيل أن صلاة الجماعة بمثابة سبع وعشرين صلاة واختلف في أرجحية الخمس والعشرين أو السبع والعشرين، فقيل فعلى الأولى كون المكتوبات خمساً فأريد المبالغة في تكثيرها فضربت في مثلها فصارت خمساً وعشرين وأما السبع فمن جهة عدد ركعات الفرائض ورواتبها[2]. وقد جمع بين هذه الاختلافات بوجوه منها أن ذكر القليل لا ينافى ذكر الكثير [3].

وهذه الأعداد التي خصها النبي ﷺ هي من أسرار النبوة التي تقصر عن دركها العقول وأريد بها المبالغة في تكثيرها[4].

قال البدر العيني: «والذي يظهر لي في هذا المقام من الأنوار الإلهية والأسرار الربانية والعنايات المحمدية أن كل حسنة بعشر أمثالها بالنص. وأنه لو صلى في بيته كان يحصل له ثواب عشر صلوات وكذا لو صلى في سوقه كان لكل صلاة عشر ثم إنه إذا صلى بالجماعة يضاعف له مثله فيصير ثواب عشرين صلاة وأما زيادة الخمس فلأنه أدى فرضاً من الفروض الخمسة فانعم الله عليه ثواب خمس صلوات أخرى نظير عدد الفروض الخمسة زيادة على عشرين إنعاماً وفضلاً منه عليه فتصير الجملة خمسة وعشرين[5].

والناس يجهلون ما أعد الله عز وجل من الثواب الكثير لمن يقوم بصلاة الجماعة، ولو

---

[1]-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الصلاة. باب الصلاة في مسجد السوق. (122/1).

[2]-إرشاد الساري إلى ترتيب صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب الآذان. باب فضل صلاة الجماعة. (62/2).

[3]-هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، الطهطاوي. (368/1).

[4]-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الصلاة. باب صلاة الجماعة. (104/2).

[5]-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الصلاة. باب الصلاة في مسجد السوق. (257/4).

يعلم الناس ما فضلها، وما الثواب الذي أعدّه الله لتسابقوا إليها ولحرصوا على أدائها. لقد هم الرسول ﷺ بأن يأمر فتاه أن يحطبوا حطباً ثم يأمر بالصلاة فيؤذن لها ثم يأمر فيؤم الناس ومن لم يخرج احرق عليه داره.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم. ثم آمر رجلا يؤم الناس. ثم آخذ شعلاً من نار فأحرق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد»[1].

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»[2].

في الحديث تقدير الثواب باستعمال الأرقام. فمن ذكر هذا الدعاء في اليوم مائة مرة كانت له عدل عتق عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحية مائة سيئة بل وكانت له حرزاً من الشيطان.

قال النووي فيه دليل على أنه لو قال هذا التهليل أكثر من مائة مرة في اليوم كان له هذا الأجر المذكور في الحديث على المائة ويكون له ثواب آخر على الزيادة.

ويظهر أن المراد بالمائة بذلك التعظيم ومزيد التكثير لا التحديد[3].

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان»[4].

ففي قوله: «بضع وستون» كناية عن الكثرة، فإن أسماء العدد كثيرا ما تجيئ كذلك فلا

---

(1)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الجماعة والإمامة. باب فضل صلاة العشاء في جماعة. (158/1).

(2)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الدعوات. باب فضل التهليل. (106/8).

(3)-صحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب الذكر والدعاء. باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء. (17/16).

(4)-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الإيمان، باب بني الإسلام على خمس. (15/1).

يراد أن العدد قد جاء في بيان شعب الإيمان مختلفا[1].

ثانيا: الكناية بالمسافات:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول:

«من صام يوماً في سبيل الله. بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً»[2].

إنّ من كرم الله ورحمته الكبرى أن جعل صيام يوم واحد في سبيله يباعد به وجه صاحبه عن النار مسيرة سبعين سنة.

وخص ﷺ الخريف من غيره من الفصول لاجتماع فيه الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وذكر السبعين للتكثير لا للتحديد[3] أي سبعين سنة لأن السنة تستلزم الخريف فهو من باب الكناية[4].

وقد كانت العرب تؤرخ أعوامها بالخريف لأنه كان أوان أجدادهم وقطافهم وإدراك غلاتهم وعبر بالسبعين عام كناية عن حصول البعد العظيم[5].

فمن تطوع بنافلة جعل الله تعالى مكانه بعيداً عن النار مسيرة سبعين عام. وهذا دليل على قربه من الجنة.

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة. وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما»[6].

في الحديث عقوبة شديدة لمن قتل معاهداً بغير حق. فقد حرم من شم ريح الجنة وأن

---

(1)-صحيح البخاري بحاشية السندي أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. مطبعة دار إحياء الكتب العربية. مكتبة زهران. كتاب الإيمان. باب بني الإسلام على خمس. (11/1).

(2)-فيض التقدير شرح الجامع الصغير، المناوى. (484/1).

(3)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الجهاد. باب فضل الصوم في سبيل الله. (32/4).

(4)-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الجهاد. باب فضل الصوم في سبيل الله. (37/6).

(5)-سنن النسائي، النسائي. كتاب الصوم. باب. ثواب من صام يوماً في سبيل الله. (172/4).

(6)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الخمس. باب من قتل معاهداً بغير جرم. (120/4).

ريحها يوجد على مسافة تقدر بأربعين سنة.

قال ابن العربي: ريح الجنة لا يدرك بطبيعة ولا عادة وإنما يدرك بما خلق الله من إدراكه فتارة يدركه من شاء الله من مسيرة سبعين وتارة من مسيرة خمسمائة[1].

وليس هناك تعارض بين السبعين والخمسمائة وإنما القصد المبالغة والتكثير لا خصوص العدد. وهذا الوعيد يفيد أن قتله كبيرة[2].

ومن لم يشم ريح الجنة من هذه المسافة البعيدة. كناية عن عدم دخولها. وعدم دخول الجنة كناية عن دخول النار.

عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»[3].

وفي الحديث دليل على أن العقوبة التي تنتظر من خرج أن أميره عقوبة شديدة. وقد عبر ﷺ عن الخروج من السلطان بمقدار الشبر فإنه يموت ميتة الجاهلية.

والتعبير بالشبر كناية عن معصية السلطان ومحاربته قال ابن حمزة: المراد بالمفارقة والسعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير فكنى عنها بمقدار شبر. يؤول إلى سفك الدماء بغير حق[4]. وبه قال السندي[5].

عن أبي هريرةﷺ قال: قال النبي ﷺ:

«من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها. فقالوا يا رسول الله. أفلا نبشر الناس؟ قال: إنّ في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجـــاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه

---

(1)-إرشاد الساري لشرح البخاري، القسطلاني. كتاب الديات. باب من قتل ذمياً بغير جرم. (74/10).

(2)-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الديات. باب من قتل ذمياً بغير جرم. (219/12).

(3)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الفتن. باب قول النبي ﷺ «سترون بعدي أموراً تنكرونها». (59/9).

(4)-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجرالعسقلاني. كتاب الفتن. باب قول ﷺ «سترون بعدي أموراً تنكروها». (5/13).

(5)-صحيح البخاري، البخاري. كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ : «سترون بعدي أمورا تنكرونها». (222/4).

أوسط الجنة وأعلى الجنة –أراه– فوق عرش الرحمان ومنه تفجر أنهار الجنة»[1].

والحديث يصور لنا أجر المجاهدين في سبيل الله وأن لهم مائة درجة في الجنة. المسافة بين الدرجتين كبعد المسافة بين السماء والأرض. وهذا دليل على نعيم المجاهد الذي لا حد له، ولا نهاية لكثرته وفضله.

إنَّ الّذي بين كلّ درجتين كالّذي بين السَّماء والأرض مئات الألوف من ملايين السنين الضَّوئية يفصل بين السماء والأرض فلنتصور هذا المدى البعيد الواسع بين درجتين.... ولنتصوَّر الدرجات الكثيرة الَّتي ذكر الحديث أنَّ الله يرفع المجاهد في سبيله مائة درجة و.....والحديث بمجموعة كناية عن فضل الجهاد في سبيل الله[2] .

قال النووي: يحتمل أن يكون أراد بها الرفعة من كثرة النعيم وعظيم الإحسان[3]. والتعبير بالمسافة الشاسعة كناية عن اتساع الجنة[4] ثواباً أعده الله للمجاهدين في الجنة.

وفي الحديث ترغيب في الجهاد من أجل الحصول على هذا الثواب العظيم.

عن أنس ابن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«إنَّ في الجنة لشجرة، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»[5]. وفي رواية عن أبي سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها»[6].

يصور لنا الرسول ﷺ النعيم الذي أعده الله تعالى لأهل الجنة التي لا يمكن للبشرية الإحاطة به مهما بلغت مداركهم ما بلغت. فيصف لنا ﷺ هذه الشجرة التي توجد في الجنة إنها شجرة عظيمة من أشجار الجنة طولها كبير جداً يساوي المسافة التي يقطعها الجواد المضمر في

---

(1)–صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الجهاد.. باب درجات المجاهدين في سبيل الله. (19/4).

(2)–التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، مصطفى الصباغ. ص161.

(3)–صحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب الجهاد. باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله. (28/13).

(4)–الترغيب والترهيب من الحديث النبوي الشريف، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذري (ت656هـ). ت: مصطفى محمد عمارة. دار الفكر. (1401هـ، 1981م). (511/4).

(5)–صحيح البخاري ، البخاري. كتاب بدأ الخلق. باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. (144/4).

(6)–صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الرقاق. باب صفة الجنة والنار . (143/8).

السير مدة مائة عام لا يقطعها.

والجواد الذي يجود ويسرع بالركض والمضمر الذي يعلف حتى يسمن [1].

قال ابن حجر ظلها إشارة إلى ناحيتها إلى امتدادها . وذكر كبر الشجرة يرمز إلى ضخامة أعضائها وإلى كبر ثمرها[2]. واللام في الشجرة للتأكيد [3] . والمراد بقطعها عدم الانتهاء بالمسير إلى المنتهى كناية عن طولها وعلى اتساع الجنة قال تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [4].

عن سعيد بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من أخذ شيئا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين ». وفي رواية أخرى عن عائشة رضى الله عنها قالت: يا أبا سلمة اجتنب الأرض فإن النبي ﷺ قال: «من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين»[5].

صورة تدل على عظيم عقوبة إثم من اقتطع شيئاً من الأرض بغير حقه. فالعقوبة التي تنتظر الغاصب عقوبة شديدة يطوق مثل ما اقتطعه ظلماً من الأرض من سبع أرضين.

قال النووي: «يحتمل أن يكون التطويق أن يحمل منه من سبع أرضين ويكلف إطاقته ذلك أو أن يجعل له كالطوق في عنقه ويطوّل الله عنقه..... وفيه إنكار غصب الأرض[6].

وقد وافق على هذا القول الطهطاوي[7].

وذكر ﷺ الشبر في الحديث إشارة منه ﷺ إلى استواء القليل والكثير في الوعيد وهذا تهديد

---

(1)-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب الرقاق. باب المحاربين من أهل الكفر والردة. (320/9).

(2)-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الرقاق. باب صفة الجنة والنار. (355/11).

(3)-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الرقاق. باب صفة النار. (221/23).

(4)-سورة السجدة: 17.

(5)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب بدأ الخلق. باب ما جاء في سبع أرضين. (130/4).

(6)-صحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب المظالم. باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض. (24/11).

(7)-ينظر: هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، الطهطاوي. (224/2).

شديد لا يدع في قلب المغتصب مثقال ذرة من ظلم[1].

فالشبر كناية عن المساحة الصغيرة المغتصبة لينبه على أن ما فوق ذلك من الظلم أبلغ في العذاب وأعظم في الجرم. وفيه مزيد من الزجر والتنفير من الظلم ولو لشيء قليل.

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس الأشعري عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون»[2].

في الحديث تصوير دقيق من النبي ﷺ للجنة وما فيها أعدها الله تعالى للمؤمنين فهذه الخيمة التي طولها في السماء ثلاثون في كل زواية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون.

قال ابن حجر: الخيمة هي الشيء الساتر ونحو ذلك[3]. وأصلها بيت تبنيه العرب من عيدان الشعر [4].

طولها ثلاثون ميلاً . والميل ثلث الفرسخ إثنا عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف على خلاف في ذلك بين أهل اللغة. وقد يراد بها هنا تقدير التحديد أو التكثير[5].

وهذه اللوحة التي رسمها لنا رسول الله ﷺ كناية عن فخامة الخيمة وبهاء رونقها. بل أكثر من هذا فهي كناية عن الثواب الكبير الذي أعده تبارك وتعالى لعباده المؤمنين [6].

عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها. ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد يعني-سوطه- خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة أطلعت إلى أهل النار لأضاءت ما بينهما. ولملأته ريحاً ولنصفيها على رأسها

---

(1)-فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني. كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض. (78/5، 79).

(2)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب بدأ الخلق. باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. (143/4).

(3)-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب بدأ الخلق . باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. (247/6).

(4)-فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوى. (502/2).

(5)-هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري، الطهطاوي. (196/1).

(6)-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، مصطفى الصباغ. ص162.

خير من الدنيا وما فيها»[1].

في هذا الوصف الدقيق أراد ﷺ تحقير أمر الدنيا وما فيها وتفخيم شأن الآخرة بالترغيب في الجهاد ومدى مكانته عند الله تعالى يوم القيامة. وأن من أوتى قدر قوس في الدار الآخرة فقد نال خير من الدنيا وما فيها.

وعبر ﷺ عن صغر المساحة في الجنة بالقيد كناية عن صغر حجم الجنة[2]. قال الزمخشرى والقيد بمعنى القدر وهو علامة يعلم بها المسافة بين الشيئين[3]. وقال ابن دفيق العيد: «هذا ليس تمثيل الفاني بالباقي بل من تتريه المغيب منزلة المحسوس تحقيقاً له في النفوس لكون الدنيا محسوسة في النفس مستعظمة في الطباع وإلا فجميع ما في الدنيا لا يعدل درهماً في الجنة، فما صغر في الجنة من المواضع كلها. من بساتينها وغيرها خير من مواضع الدنيا وما فيها من بساتين وغيرها. فأخبرﷺ أن قصير الزمان وصغير المكان خير من طويل الزمان وكبير المكان في الدنيا تزهيداً وتصغيرًا لها وترغيبًا في الجهاد والحاصل تعظيم الجهاد [4].

إن مقدار قاب قوس من الجنة خير من الدنيا وزخارفها قال ابن حجر: والمراد بالقوس في الحديث الذراع الذي يقاس به. وكأن المعنى بيان فضل قدر الذراع من الجنة[5].

فمن حصل له من الجنة قدر مقدار سوط يصير كأنه حصل له أعظم من جميع ما في الدنيا فكيف بمن حصل له منها أعلى الدرجات[6]. والعقل يعجز عن تصور ذلك.

وفي الجنة قصور وأهل ولو امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل النار لأضاءت ما بينهما وهذه كناية أخرى عن شدة ضوئها وصفاء جسمها وبهائه ولنصفيها الذي على رأسها خير من

---

(1)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الجهاد. باب الحور العين وصفتهن يحار فيها الطرف. (20/4).

(2)-المرجع السابق. ص158.

(3)-الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، حرف القاف. ماده (قاب). (129/3).

(4)-فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوى. (502/2).

(5)-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الجهاد. باب صفتهن يحار فيها الطرف (12/6).

(6)-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب الجهاد. باب الغدوة والروحة في سبيل الله (39/5).

متاع الدنيا الفانية[1] .

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

«إنّ قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»[2].

في هذا الحديث وصف لحوض النبي ﷺ وهو إن كان من الأمور الغيبية أراد ﷺ تجسيده لنا بما نفهمه.

إن مساحة حوضه ﷺ شاسعة جداً طولاً وعرضاً وقد مثله لنا ﷺ لامتداد سعته وطوله كالمسافة بين أيلة وصنعاء من اليمن تقريبا لإفهام السامعين، ولدلالة على كبير حجمه.

قال العلماء: معناه أن طوله كعرضه وعرضه كطوله[3] وتقدير المسافة للسامعين بين مدنيتين أيلة وصنعاء كناية على أنه واسع المدى عذب المذاق كبير جداً[4] .

فاللهم اسقنا منه من فضلك يا رب العالمين.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»[5].

وفي الحديث تهويل وإشارة إلى شناعة العقاب. إن المسافة بين منكبي الكافر مسيرة ثلاث ليالي. وإنما جعل كذلك لأن عظم جسده تضاعف في إيلامه وذلك مقدور لله يجب الإيمان به[6].

والتعبير بالمسافة كناية عن اتساع ما بين منكبيه. فيعظم العذاب وتتضاعف المشاق وتمتلئ النار وتفسير هذا العذاب جاء في قوله تعالى﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

---

(1)-الترغيب والترهيب عن الحديث النبوي الشريف، المنذري. (535/4).

(2)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الرقاق. باب في الحوض. (149/8).

(3)-صحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب الفضائل. باب حوض نبينا ﷺ وصفته. (55/15).

(4)-الترغيب والترهيب عن الحديث النبوي الشريف، المنذري. (134/4).

(5)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الرقاق. باب صفة الجنة والنار. (142/8).

(6)-فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي. (254/4).

العَذَابَ﴾[1].

عن أبي هريرة ﷺ سمع رسول الله ﷺ يقول:

«إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق »[2].

يحث ﷺ على قلة الكلام والتأمل فيما يراد النطق به، فمن أراد الكلام فعليه أن يتمهل ثم يتدبره في نفسه قبل أن يتكلم به. لما في ذلك من الأوزار التي عند الغافل[3]

إن الكلمة الواحدة قد تهوى بصاحبها إلى حفرة من النار نهاية قعرها مسافة ما بين المشرق والمغرب[4]. وهذه كناية عن عمق قعرها وبعد المسافة[5].

ثالثا: الكناية بالأوزان:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من شهد الجنازة حتى يصلي فله قيراط، ومن شهد حتى تدفن كان له قيراطان قيل وما القيراطان؟ قال مثل الجبلين العظيمين»[6].

والحديث ترغيب في حضور اتباع الجنائز والصلاة عليها لما فيها من الأجر الكبير وقد مثله ﷺ بالقيراط.

والمراد بالقيراط كما ذهب إليه الأكثرون أنه جزء من أجزاء معلومة عند العليم الخبير وقد قربها ﷺ للفهم تمثيله بجبل أحد. وأراد بذلك تعظيم الثواب فمثله بأعظم الجبال خلقاً وأكثرها إلى النفوس المؤمنة حباً....ويحتمل أن ذلك العمل يتجسم على قدر جرم الجبل المذكور[7].

---

(1)-سورة : النساء 56.

(2)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الرقاق. باب حفظ اللسان. (125/8).

(3)-صحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب الرقاق. باب حفظ اللسان. (117/18).

(4)-فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوى. (336/2).

(5)-التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف، مصطفى الصباغ. ص185.

(6)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الجنائز. باب. من انتظر حتى تدفن. (110/2).

(7)-سنن النسائي، النسائي. كتاب الجنائز. باب فضل من يتبع جنازة. (56/4).

وبيان التمثيل بجبل أحد أن المراد به زنة الثواب المرتب على ذلك العمل[1] . وهو كناية عن عظم أجر الثواب الذي يعود به المصلى على الجنازة.

عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير. ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»[2].

تظهر في هذا الحديث رحمه الله تعالى بعباده وأن من رحمته إخراج من شهد أن لا إله إلا الله وكان في قلبه وزن شعيرة من خير بل أقل من ذلك كالبرة أو الذرة والإتيان في جانب المعاني بالوزن الذي خاص بالأجسام ليكون معياراً في المعرفة. قال البدر العيني: «هذا من باب التمثيل بحيث يجعل عمل عند الله ثم يوزن وقيل يزن الله الصحف المشتملة على الأعمال الخيرة. وقال للوزن معنيان. أحدهما هذا. والآخر تمثيل الأعراض بالجواهر فيجعل في كفة الحسنات جواهر من إيمان بيض مشرقة. وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة وهو أن القليل جداً من الإيمان يخرج صاحبهُ من النار والتفاوت في شيء فيه القلة والكثرة ظاهر وهو عين التفاضل [3] .

ومعنى الحديث هو أنه ينجو من عذاب الخلد من أقر بالتوحيد وصدق بالحق وكان في قلبه مثقال وزن شعيرة أو ذرة أو برة والتعبير بهذه الأوزان كناية عن قلة الإيمان الذي يخرج صاحبه من النار.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب. وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل»[4].

إن الصدقة القليلة مقبولة ما دامت من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب. فيأخذها

---

(1)-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الجنائز. باب من انتظر حتى تدفن. (154/3).

(2)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الإيمان. باب زيادة الإيمان ونقائصه. (18/1).

(3)-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الإيمان. باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال. (169/1).

(4)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الزكاة. باب لا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب. (2/ 134).

الله بيمينه ثم يربيها حتى تكبر وتكون مثل جبل أحد.

قال المزري: عبر ﷺ بما اعتادوا عليه في خطابهم ليفهموا عنه فكنى عن قبول الصدقة عن اليمين وعن تضعيف أجرها بالصدقة . وقال الزين ابن المنير قبول الصدقة باليمين كناية عن الرضا والقبول لتثبيت المعاني المعقولة من الأذهان وتحقيقها في النفوس تحقيق المحسوسات والظاهر أن المراد بعمظها أو عينها لتثقل في الميزان ويحتمل أن يكون ذلك معبراً عن ثوابها والله أعلم[1].

وقال الداوري: فيه تمثيل أي كمن تصدق بمثل الجبل وتربية الصدقات مضاعفة الأجر عليها وأن أريد به الزيادة في كمية عينها لتكون أثقل في الميزان لم ينكر ذلك[2].

إن الصدقة اليسيرة التي تساوي وزن تمرة تصبح مثل الجبل عند الله، والمراد كثرة جزائها والثواب المترتب عليها لا أنها تكون كالجبل حقيقة لأنها تغنى وتنقص عند تناولها ويحتمل أن يخلق الله مثلها من جنسها[3].

عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى اخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة- شك مالك- فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»[4].

عبر ﷺ في الحديث عن الشيء القليل بأنه مما يدخل صاحبه الجنة. والإتيان في جانب المعاني بالوزن الذي هو خاص بالأجسام ليكون معياراً في المعرفة لأن ما يشكل في المعقول يرد إلى المحسوس ليكون أدنى إلى الفهم والقول هو قول النفس فمن أقر بالتوحيد صدق فالإقرار لا بد منه ولهذا أعاده كل مرة. ومعنى أنه يدخل الجنة من كان في قلبه خردل ثم من كان في قلبه

---

(1)-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الزكاة. باب لا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب. (217/3، 218).

(2)-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، لبدر العيني. كتاب الزكاة. باب لا يقبل الله صدقة من غلول. (270/8).

(3)-فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوى. (270/6).

(4)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الإيمان. باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال. (13/1).

أدنى شيء وهذا معنى الذرة[1] .

قال الكرماني والخردل نبات معروف يشبه الشيء القليل البليغ في القلة يعني يدخل الجنة من كان في قلبه أقل قدر من الإيمان[2] .

والخردل هو أصغر الحبوب قدراً وقد خصه ﷺ كناية إلى أنه وإن صغر قدره عظيم جزاءه وأن مثقال ذرة من الحسنات يضاعف ثوابها ويعط صاحبها أجراً كبيراً. قال الله تعالى

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [3].

رابعا: الكناية باللون:

إنَّ الكناية باللون في الحديث لها أثراً عميقاً في إدخال المعاني أذهان المخاطبين وماله من الأثر في النفس. إنها لغة غير ناطقة.

عن عبد الله ابن الزبير رضى الله عنهما أنه حدثه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري سرح الماء يمر فأبى عليه فاختصما عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ للزبير:

«اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصاري فقال: أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر».

فقال الزبير:«والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك. فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم »[4] .

وفي هذا الحديث كانت كلمات الأنصاري ﷺ قاسية على قلب رسول ﷺ عندما تطول على حكم الرسول ﷺ وكانت ملامح الانفعال ظاهرة على وجهه الشريف ﷺ لذلك التصرف وقد تغير لون وجهه ﷺ .

---

[1]-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الإيمان. باب زيادة الإيمان ونقصانه. (86/1).

[2]-صحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب الإيمان. باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال. (116/1).

[3]-سورة: الزلزلة 7، 8.

[4]-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب المساقات. باب فضل سقي الماء. (139/3).

قال القسطلاني: وهذا التغير في وجهه الشريف نتيجة لانتهاك حرمة النبوة وقبيح كلام هذا الرجل[1] . فالتلون في وجهه هو كناية عن الغضب[2].

عن بن الزبير ﷺ أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح. ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه قال غروة فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ فقال: «أتكلمن في حد من حدود الله». قال أسامة استغفر لي يا رسول الله فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: «أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده، ولو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت قالت عائشة فكانت تأتي بعد ذلك، فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ[3].

لقد كان الانفعال قد بلغ مداه في نفس رسول الله ﷺ كما عبر عنه الصحابي في الحديث بقوله (تلون وجه رسول ﷺ)لأن الأمر المنكر خطير جداً إذ أنه يتعلق بحكم من أحكام الشرع لذلك غضب ﷺ.

ومعروف من سيرته ﷺ أنه كان لا ينتقم لنفسه بل يظل سمحاً، حتى إذا انتهكت حرمة من حرمات الله، فيومئذ يغضب حتى يزيل المنكر، وتعلو كلمة الحق وينفذ أمر الله [4]

وقد كان جواب النبي ﷺ في غاية الإيجاز بقوله (أتكلمني في حد من حدود الله) وكانت أثار الانفعال على وجهه الشريف فعرف الصحابي أسامة بن زيد ﷺ ذلك فطلب منه أن يستغفر له فغفر له. .

وتلون وجه النبي ﷺ كناية عن غضبه وكان الصحابة ﷺ يدركون انفعالاته ﷺ مثلما

---

[1]-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني. كتاب المساقات. باب سكر الأنهار. (198/4).

[2]-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب المساقات. باب سكر الأنهار. (206/12).

[3]-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب المغازي. باب وكان النبي ﷺ قد مسح وجهه عام الفتح. (191/5).

[4]-الخصائص الفنّية في الأدب النبوي، سعد الدبل. ص109.

يدركون غيرها فعن أبي سعد الخذري ﷺ قال: «كان النبي ﷺ أشد حياءاً من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه»[1].

فكان لا يتكلم حياءاً بل يتغير وجهه فيفهم الصحابة وفيه فضيلة الحياء[2].

عن عبد الله ﷺ قال: قسم النبي ﷺ يوماً قسمة فقال رجل من الأنصار إنَّ هذه لقسمة ما أريد بها وجه اللّه. قلت أما والله لآتين النبي ﷺ فأتيته وهو في ملأ فسررته فغضب حتى أحمر وجهه ثم قال: «رحمة الله على موسى، أوذى بأكثر من هذا فصبر» [3].

وعن ابن مسعود ﷺ قال قسم رسول الله ﷺ قسمة فقال رجل من الأنصار والله ما أراد محمد بهذا وجه الله فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فتمعر وجهه وقال: «رحم الله موسى، لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر» [4].

لقد كان احمرار وجهه ﷺ في الحديث الأول كناية عن شدة غضبه ﷺ لأنه لما أعطى ناساً من أشراف العرب ليأتلفهم لأنهم كانوا حديثوا عهد الإسلام، ولما سمع ما قيل عنه ظهر آثار ذلك الانفعال على وجهه الشريف والتي أدركها الصحابي الجليل وقد تلقى ذلك ﷺ بالصبر.

وفي الحديث الثاني فقد كان تغير وجه النبي ﷺ وقد عبر عنه الصحابي بقوله: فتمعر وجهه. قال البدر العيني: أي صار لونه لون المغرة[5]. والمغرة في اللغة هو الذي في وجهه حمرة بياض صاف[6].

فتلون وجهه ﷺ كناية عن غضب وغضبه ﷺ هو رفق وشفقته على أمته.

وهذا لا بنا في ما وصفه الله به من الرأفة والرحمة لانه كما أن الرحمة والرضا لا بد منها للاحتياج إليهما، كذلك الغضب والاستقصاء كل منها في حيزه وأوانه ووقته.

---

(1)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الأدب. باب من لم يواجه الناس بالعتاب. (32/8).

(2)-صحيح مسلم بشرح النووي، النووي. كتاب الفضائل. باب كثرة حيائه ﷺ. (78/15).

(3)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الإستئذان. باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا يأمن بالمساوات والمناجات.(80/8)

(4)-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الأدب. باب من أخبر صاحبه فيما يقال فيه. (22/8).

(5)-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الأدب. باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه. (132/22).

(6)-الفائق في غريب الحديث، الزمخشري. حرف الميم. باب (مغر). (253/3).

فهو إذا غضب إنما يغضب لإشراق نور الله على قلبه ليقيم حقوقه وينفذ أوامره، وليس هو من قبيل العلو في الأرض وتعظيم المرء نفسه وطلب تفردها بالرياسة[1] .

ولأن وجهه ﷺ كالقمر والشمس فإذا كره شيئاً عرف منه ﷺ فعن كعب بن مالك ﷺ قال: «كان ﷺ إذ سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه»[2].

عن نعيم المجمرﷺ قال رقيت مع أبي هريرة ﷺ على ظهر المسجد فتوضأ فقال أني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنّ أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»[3] .

الحديث يصور لنا المؤمنين بالخيل الغرّ المحجلين لهم علامة تميزهم يوم القيامة وفي اللغة الغرة بياض في جبهة الفرس والغُرَّة بياض الوجه. يريد بياض لون وجوههم بنور الوضوء يوم القيامة[4] . وقال الجوهري: التحجيل بياض في قوائم الفرس استعار أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس ويديه ورجليه[5].

قال ابن حجر: الغر والتحجيل كناية عن النور يوم القيامة [6]. وقال البدر العيني تشبيه بليغ حيث شبه النور الذي يكون على موضع الوضوء يوم القيامة بغرة الفرس وتحجيله ويجوز أن يكون كناية بأن يكون كنى بالغرة عن نور الوجه[7] .

فمن استطاع أن يواضب على الوضوء لكل صلاة فإنه يطول غرته أي يقوى نوره ويتضاعف بهاؤه فيكون وجهه ابيض كناية عن نور وجهه[8].

---

[1]-فيض القدير شرح الجامع الصغير. (150/5).

[2]-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب بدأ الخلق، باب صفة النبي ﷺ . (229/4).

[3]-صحيح البخاري ، البخاري. كتاب الوضوء. فضل الوضوء والغرّ المحجلين من الوضوء.(45/1).

[4]-لسان العرب، ابن منظور. مادة (غرر). (3232/5).

[5]-نفسر المنذر، مادة (حجل). (788/2، 789).

[6]-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. كتاب الوضوء والغرّ المحجلون من آثار الوضوء (190/1).

[7]-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، البدر العيني. كتاب الوضوء. باب فضل الوضوء والغر المحجلين من الوضوء (249/2).

[8]-صحيح البخاري بشرح الكرماني، الكرماني. كتاب الوضوء. باب فضل الوضوء والغر المحجلين من آثار الوضوء.(173/2).

وفي ختام هذا الفصل تبدوا لنا محاسن البلاغة النبوية في أعلى قمتها والمتمثلة في الأسلوب الكنائي الذي استخدمه الرسولﷺ محققا به أبعادا تشريعية واجتماعية وتربوية...ومن حسن الكناية عن المعاني ذلك الاستخدام للصور الحسية لتقريب المفاهيم والأفكار للمخاطبين وهذا من سمو الكناية في البلاغة النبوية التي عجز البشر عن محاكاتها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمـــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي ختام هذا البحث أود أن أذكر في هذه الخاتمة بعض النتائج المتوصل إليها:

1-انفراد النبي ﷺ بمعرفة الغريب من ألسنة العرب دون قومه وغير قومه، مما ليس ذلك في لسانه عن غير تعليم ولا تلقين ولا رواية.

2-أن رسول الله ﷺ هو القدوة والمثل الأعلى لبلاغة القول، ففي غالب أحاديثه الإيجاز مع الاختصار وقوة الإقناع ووضوح العبارة، والتوصل إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات التي أغلقت على غيره ﷺ فلا أفصح منه ﷺ، بل لا مساوي له في فصاحته ﷺ .

3-حسن الوقف ورعاية الفواصل في أحاديثه ﷺ فيبدأ كلامه بأعذب لفظ وأفصحه وأبلغ أسلوب وأوقعه.

4-أنه ﷺ قد وضع ألفاظا جديدة وأصبح ما أمضاه حسن من حسنات البيان وسر من أسرار اللسان. ناهيك عن استخدامه من أساليب الدين وألفاظ الشريعة مما لم يأت بها كتاب.

5-تتميز البلاغة المحمدية عن الكلام العربي بأن فيها لغة منتقاه غير نابية وأن فيه أحكاما في التعبير وجمعا للمعاني بأوجز طريق وأقربه دون حشو، مما استحق به التسمية بجوامع الكلم. فهو كلام عربي في درجة عليا من أساليب البلغاء المعهودة.

6-إذا كانت الصورة البيانية في الأعمال الأدبية التي ترسم ظلالها التشبيه والاستعارة والكناية فتستجمع لفيفا من الخصائص الفنية المعبرة لتسلك بها طريقا يؤدي المعنى إلى الذهن دون أدنى تكلف. فإن هذه الصورة قد توافرت في الحديث النبوي الشريف بأدق مسلك وأعذب بيان.

7-إن تلك الصورة البيانية لدليل القدرة على الصياغة البلاغية وإحكامها. حيث لم تخدش تلك الألفاظ وما أشبهها القالب التصويري للتعبير النبوي الشريف على المعاني.

8-إذا كان القرآن معجز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فمثله كان حديث الرسول ﷺ. هو ذروة البلاغة البشرية التي تتقطع دونها أعناق الرجال.

وبعد، فهذا جهدي في خدمة حديث رسول الله ﷺ فإن أحسنت فذلك فضل من الله، وإن قصرت فحسبي أني بذلت جهدا لخدمة البيان النبوي.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعفوا عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولنا فانصرنا على القوم الكافرين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهـــــارس

أولا: فهرس الآيات

ثانيا: فهرس الأحاديث

ثالثا: فهرس المصادر والمراجع

رابعا: فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس الآيات

الآية	الرقم	الصفحة
سورة البقرة		
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ...﴾	06	35
﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ...﴾	44	34
﴿وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا...﴾	235	93
سورة آل عمران		
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا...﴾	103	36
سورة النساء		
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾	36	98
﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ...﴾	56	114
﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾	74	76
﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ...﴾	113	03
سورة المائدة		
﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ...﴾	105	38
سورة الرعد		
﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾	17	34
سورة الكهف		
﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ...﴾	71	45
سورة العنكبوت		
﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ...﴾	48	5
سورة السجدة		
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم...﴾	17	110
سورة فصلت		
﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾	44	34
سورة الشورى		
﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ...﴾	28	42

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا...﴾	40	62
سورة النجم		
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى...﴾	4-3	ب، 6
سورة الجمعة		
﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا...﴾	5	47
سورة القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	4	ب، 2
سورة القارعة		
﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾	4	26، 43
سورة الزلزلة		
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾	8-7	117

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس الأحاديث

أول الحديث	الصفحة
-أ-	
«أتاكم أهل اليمن.....	56
«أترون هذه طارحة ولدها.....	13
«أتكلمن في حد من حدود الله...	118
«اختصمت الجنة والنار إلى ربهما...	89
«اتقوا النار ولو بشق ثمرة...	99
«أدبني ربي فأحسن تأديبي	04
«إذا أتيتم الغائط ...	68
«إذا أحسن أحدكم إسلامه...	103
«إذا أعجلت أو قحطت فعليك الوضوء...	101
«إذا جاء أحدكم المسجد....	65
«إذا جلس بين شعبها الأربع	100
«إذا دخل أحدكم المسجد فليركع...	66
«إذا زنت الأمة فتبين...	96
«إذا صار أهل الجنة إلى الجنة...	87
«إذا طلع حاجب الشمس...	88
«أسق يا زبير ثم أحبس الماء...	117
«اشترى رجل من رجل عقار...	15
«أطولكن يدا.....	14
«أعطيت خمسا لم يعطيهن أحدا قبلي...	63
«ألا أخبركم بأهل الجنة.....	14
«إلى أقربهم منك بابا...	98

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

«الآن حمي الوطيس...	04
«الإيمان بضع وستون...	106
«الإيمان يمان...	83
«أما أن أحدكم إذا أتى أهله...	94
«أمرت بقرية تأكل القرى.....	53
«أمك، قال ثم من؟...	14
«إن آخذ بحجزكم، اتقوا النار.....	37
«إن أمتي يدعون يوم القيامة...	120
«إن الإيمان ليأزر إلى المدينة...	74
«إن العبد لا يتكلم بالكلمة...	114
«إن الرحم شجنة.....	62
«إن الله حرم مكة...	68
«إن المؤمن للمؤمن كالبنيان.....	15
«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد...	109
«إن في الجنة لشجرة يسير الراكب...	109
«إن قدر حوض كما بين آيلة وصنعا...	113
«إن قوما بالمدينة خلفنا...	86
«إن مثلي ومثل الناس	26
«إن مما ينبت...	71
«إن من البيان لسحرا.....	12
«إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها.....	13
«إن من أخيركم...	10
«أنا أفصح العرب.....	ب
«أنا وكافل اليتيم.....	15

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

«أنه كان إذا سلم سلم ثلاث.....	14
«إني آخذ بحجزكم...	36
«أوتيت جوامع الكلم.....	ب
-ب-	
«بعثت أنا والساعة كهاتين...	15
«بعثت بجوامع الكلم..	12
«بعثت في نفس الساعة...	4
«بني الإسلام على خمس...	81
-ت-	
«تصدقن ولو من حيلكن...	99
-ث-	
«ثلاث من كن فيه وجد...	78
-ج-	
«جعل الله الرحمة مائة جزء...	104
-ح-	
«الحرب خدعة...	14
«حجبت النار بالشهوات...	73
-خ-	
«الخيل في نواصيها الخير...	79
«الخيمة درة مجوفة...	111
«خذي فرصة ممسكة...	93
«خلق الله الخلق...	62
-د-	
«دعوه وهريقوا على بوله...	67، 70

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ذ-	
«الذي يشرب في آنية الفضة...	61
-ر-	
«رحمة الله على موسى...	119
«رويدك يا أنجشة سوقك...	14
-ش-	
«الشهداء، الغرق...	49
-ص-	
«صلاة الجماعة تفضل صلاة الفد...	104
«صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته...	104
«صلاة في مسجدي هذا خير من ألف...	103
-ع-	
«عجب الله من قوم...	58
-ف-	
«فأنا آخذ بحجزكم عن النار...	57
«فيه ساعة لا يوافقها عبد...	66
-ك-	
«كان النبي ﷺ إذا سر استنار وجهه...	120
«كان النبي ﷺ أشد حياء...	119
-ل-	
«اللهم باعد بيني وبين خطاياي...	64
«لا تسأل المرأة طلاق أختها...	80
«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...	57
«لا حتى تذوق عسيلته...	92

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

«لا يقولن أحدكم خبثت نفسي...	13
«لا يلدغ المؤمن من الجحر...	76
«لروحة في سبيل الله أو غدوة...	111
«لم يكن يسرد الحديث كسردكم...	9
«لما قضى الله الخلق ...	84
«لو دعيت إلى ذراع، أو كراع...	98
«ليس الغنى عن كثرة العرض...	13
«ليس المسكين الذي ترده الأكلة...	85
«ليس المسكين الذي يطوف على الناس...	85
«ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء...	106
-م-	
«المؤمن تتكافئ دمائهم...	39
«الملائكة تصلي على أحدكم...	84
«ما بين بيتي ومنبري روضة...	60
«ما بين منكبي الكافر...	113
«ما منكن امرأة تقدم ثلاثا...	61
«مات حتف أنفه...	4
«مثل الجليس الصالح والسوء...	12
«مثل القائم على حدود الله...	29
«مثل المؤمن كالخامة...	12
«مثل ما بعثني الله به...	22
«من أحب عبدا لا يحبه إلا لله...	78
«من أسلف في شيء معلوم...	5
«من آمن بالله وأقام الصلاة...	108

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

«من استطاع الباءة فليتزوج...	63
«من اعتق رقبة مسلمة...	66
«من أخذ شيئا من الأرض...	110
«من بنى مسجدا...	70
«من ترك صلاة العصر...	64
«من تصدق بعدل تمرة...	115
«من شهد الجنازة حتى يصلى...	114
«من صام يوما في سبيل الله...	107
«من ظلم قيد شبر من الأرض...	101
«من ظلم من الأرض شيئا...	75
«من قاتل لتكون كلمة الله...	107
«من قتل معاهدا...	107
«من قال لا إله إلا الله...	106
«من قام ليلة القدر...	66
«من كره أن يلقى في النار...	78
«من كره من أميره شيئا...	108
«من لم يدع قول الزور...	85
«من يضمن لي ما بين...	95
«مه عليكم بما تطيقون...	62
—ن—	
«نحن بنوا أبي واحد...	03
—هـ—	
«هدنة على دخن...	04
«هذا الإنسان وهذا أجله...	86

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

«هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم...	55، 72
«هذا جبل يحبنا...	54، 90
-و-	
«الولد للفراش....	59
«وأعلموا أن الجنة تحت ظلال...	59
«والله لا يؤمن ...	14
«ورجل تصدق بصدقة...	88
«ويل للأعقاب...	67
-ي-	
«اليد العليا خير من اليد السفلى...	56
«يا حكيم، إن هذا المال حلوة خضرة...	77
«يا نساء المسلمات ...	97
«يخرج من النار من قال لا إله إلا الله...	76، 115
«يدخل أهل الجنة الجنة ...	116
«يغسل ما مس منه ...	101

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: فهرس المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية حفص عن نافع

1-**الإبلاغية في البلاغة العربية** سمير أبو حمدان ط1، بيروت، باريس1991م

2-**إحياء علوم الدين** أبي حامد بن محمد الغزالي (ت505 هـ) دار المصرية اللبنانية.

3-**الأدب النبوي** محمد عبد العزيز الخولي ط8. المكتبة التجارية الكبرى، مصر (1388هـ-1979م).

4-**إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** محمد بن محمد القسطلاني (ت 923هـ) وبهامشه صحيح مسلم بشرح النووي، ط7، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان

5-**أسرار البلاغة** عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، ط2، ت:محمد الإسكندراني، د.محمد مسعود، دار الكتاب العربي، بيروت، (1418هـ.1998م)

6-**الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز** عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام. دار الفكر، دمشق

7-**إعجاز القرآن** أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت 408هـ)، ط1، ت.عماد الدين أحمد حيدر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، (1411هـ.1991)

8-**إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** مصطفى صادق الرافعي. (ت1937م). ط8، ت.محمد رشيد رضا، مكتبة رحاب، الجزائر.

9-**أعلام الموقعين عن رب العالمين** شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر. (ت 751هـ). مكتبة الكليات الأزهرية

10-**أعلم النبوة** أبي الحسن علي بن محمد الماوردي. (ت 450هـ). ط1، الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (1456هـ.1986م)

11-**البصائر والدخائر** أبي حيان التوحيدي. (ت 544هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

12-**بلاغة الحديث الشريف** عبد الفتاح لاشين. ط1، دار محدلاوي، عمان، الأردن، (1402هـ-1982م)

13-**البيان المحمدي** مصطفى الشكعة. ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة. (1416هـ-1995م)

14-**البيان النبوي** محمد رجب البيومي، دار الوفاء.

15-**البيان والتبيين** أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. (ت 255هـ). ط1، ت. علي أبو ملجم، مكتبة الهلال، بيروت 1408هـ.

16-**تاريخ الأدب العربي** أحمد حسن الزيات. ط5، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (1414هـ-1999م)

17-**الترغيب والترهيب من الحديث النبوي الشريف** زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري. (ت 656هـ).

ت.مصطفى محمد عمارة. دار الفكر. (1401هـ-1981م)

18-**التصوير الفني في الحديث النبوي الشريف** مصطفى لطفي الصباغ. ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م

19-**التعبير الفني في القرآن** الدكتور/ بكري شيخ أمين. ط1. دار الشروق. بيروت. لبنان. (1400هـ-1980م)

20-**الجامع لأحكام القرآن** أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان

21-**جامع العلوم والحكم** ابن أحمد بن رجب الحنبلي. ط2. مصطفى البابي الحلبي. (1369 هـ-1950م)

22-**الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام** محمد عبد المنعم خفاجي. دار الجبل. بيروت. لبنان

23-**الحديث النبوي من الوجهة البلاغية** الدكتور/ عز الدين علي السيد. ط. 1392هـ

24-**الخصائص الفنية في الأدب النبوي** محمد بن سعد الدبل. ط2. مكتبة العبيكان. الرياض. (1418هـ-1997م)

25-**دراسات في الأدب العربي** معاد السرطاوي. ط1. مكتبة عكاظ. المملكة العربية السعودية. (1402هـ-1982م)

26-**الذات الإلهية والمجازات القرآنية والنبوية** سعد رستم. ط1. الأوائل. سوريا. (2002م)

27-**روائع من أقوال الرسول(ص)، دراسة أدبية ولغوية وفكرية** عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني. ط3. جدة. مكتبة عكاظ. 1983م

28-**سنن النسائي** أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي النسائي. بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي. دار الكتاب العربي بيروت. لبنان

29-**شرح صحيح مسلم** أبي عبد الله الأبي (ت 827هـ). مكتبة الطبرية

30-**شرح صحيح مسلم** القاضي عياض. الإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض الحصبي (ت 544 هـ). ط1. ت. يحي إسماعيل. دار الوفاء. (1419هـ-1998م)

الشفا بتعريف حقوق المصطفى القاضي عياض (ت 544هـ). دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان

32-**صحيح البخاري** أبي عبد الله محمد إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. (ت 256هـ). مطابع الشعب. 1378م

33-**صحيح البخاري بحاشية السندي** أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي. (1138هـ). دار إحياء الكتب العربية

34-**صحيح البخاري بشرح الكرماني** ط1. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان

35-**صحيح مسلم** أبي الحسن موسى مسلم القشيري النيسابوري. (ت 261هـ). ط2. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. 1972م

36-**صحيح مسلم** بشرح النووي(ت 676هـ). دار الفكر للطباعة والنشر، (1401هـ-1981م)

37-**العمدة** أبو علي حسن بن رشيق القيرواني. (ت463هـ). ت: أمين هندية. مصر (1344 هـ-1965م)

38-**عمدة القارىء شرح صحيح البخاري** أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت855 هـ). دار الفكر

39-**الفائق في غريب الحديث** جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ). ط1. علي محمود البجاوي. محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية. عيسى الحلبي. مصر. (1364هـ-1945م)

40-**فتح الباري بشرح صحيح البخاري** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ). ط 2. دار إحياء التراث العربي. بيروت. 1302هـ

41-**الفتح الرباني مع شرحه بلوغ الأماني** أحمد عبد الرحمان البنا. دار إحياء التراث العربي

42-**فيض القدير شرح الجامع الصغير** عبد الرحمان المناوي. (ت 1031هـ). ط2. دار إحياء التراث العربي. بيروت. (1302هـ)

43-**الكامل في اللغة والأدب** أبي العباس محمد بن زيد (ت 285هـ). مطبعة مصطفى محمد. مصر

44-**كتاب أمثال الحديث** الرامهرمزي. ط1. مؤسسة الكتب الفقهية. لبنان. بيروت. (1409 هـ-1977م)

45-**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ابن الأثير ضياء الدين. (ت 622هـ). ط1. ت: أحمد الحوفي. بدوي طبانة. دار الرافعي. الرياض. (1403هـ1937م)

46-**المجازات النبوية** أبو الحسن محمد بن الطاهر. الشريف الرضى. (ت 406هـ). ت: مصطفى محمود. مصطفى البابي الحلبي. مصر. 1356هـ-1937م)

47-**مفتاح العلوم** أبو يوسف أبي بكر علي السكاني. (ت 626هـ). ط2. ت: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. (1407هـ-1987م)

48-**مفتاح كنوز السنة** فنستك. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. (1983م)

49-**مناهل العرفان في علوم القرآن** محمد عبد العظيم الزرقاوي. دار الفكر العربي. القاهرة. (1408هـ-1988م)

50-**من بلاغة الحديث الشريف** الدكتور/ عبد الفتاح لاشين. ط1. جدة. المملكة العربية السعودية. (1403هـ-1982م)

51-**من هدى السنة** رمزي نعناعة. دار الشهاب. باتنة

52-**نهاية الارب في نهاية الأدب** شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري. (ت 733هـ). دار الكتب

53-**هداية الباري إلى ترتيب صحيح البخاري** عبد الرحيم الطهطاوي. ط5. الرائد العربي. لبنان. بيروت. (1302هـ-1982م)

54-**وحى القلم** مصطفى صادق الرافعي (ت 1937هـ). دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان.

المعـــاجم والقـــواميس

55-**القاموس المحيط** مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي. ط2

56-**لســـان العـــــــرب** جمال الدين محمد بن منظور. دار المعارف. القاهرة

57-**مختار الصحاح** محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي. دار الحديث. القاهرة. (1424هـ-2003م)

58-**معجم مقاييس اللغة** أبي الحسن زكريا. ت: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي. مصر

فهـــــرس المـــجلات

59-«**بلاغة الأسلوب النبوي**» منشاوي عثمان عبود. مجلة الأزهر. عدد5 سنة49. رجب. 1397هـ

60-«**تضامن الأمة في الإصلاح**» محمد أبو شهبة. مجلة الأزهر. عدد 43. ح1

61-«**الحديث النبوي**» محمود النووي. ملة الأزهر. ربيع الثاني. (1376هـ-1996م)

62-«**دين الله والناس**» أحمد الشرباصي. مجلة لواء الإسلام. شعبان. 1387هـ. . .

63-«**عنصر الفكرة في الحديث النبوي الشريف**» محمد رجب البيومي. مجلة الأزهر. (1390هـ)

64-«**من بلاغة النبوة**». عناصر التأثير في خطاب الرسول ﷺ محمد رجب البيومي. عدد9. السنة 33 رمضان 1381هـ

جمعية الشيخ عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: فهرس الموضوعات

المقدمة ..... أ

المـــــــــدخـــــل

1-معجزة البيان النبوي 2
2-الفصاحة والبلاغة النبوية 7
3-خصائص البلاغة النبوية 12
3-1-الإيجاز 12
3-2-الأمثال في البيان النبوي 12
3-3-خاصية التوجيه والتعليم في البيان النبوي 13
3-3-1-تصحيح المفاهيم 13
3-3-2-الاستعانة بالأحداث في التعليم 13
3-3-3-التعليم والتوجيه باستخدام الأسئلة 13
3-4-خاصية التكرار في البيان النبوي 14
3-5-خاصية الأصالة والابتكار 14
3-6-التصوير في البيان النبوي 15
3-6-1-الاستعانة بالحركة والإشارة 15
3-6-2-الاستعانة بالرسم البياني 15
3-7-القصة في البيان النبوي 15
4-الدراسات البيانية للحديث النبوي الشريف 16

الفصل الأول: التشبيه في الحديث النبوي الشريف

المبحث الأول: بلاغة التشبيه التمثيلي 22
أولا: مثل الهدى والعلم 22
ثانيا: مثل الرسول ﷺ 26
ثالثا: مثل القائم على حدود الله 29

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: أبعاد ومعاني التشبيه التمثيلي 32
أولا: القيمة الجمالية في المثل النبوي 32
ثانيا: الدقة في التصوير البيئة والمجتمع 39
ثالثا: الدقة في اختيار عناصر المشبه به 42
رابعا: الدقة اختيار اللفظ 46

الفصل الثاني: المجاز في الحديث النبوي الشريف

المبحث الأول: بلاغة المجاز في الحديث النبوي الشريف 53
أولا: بلاغة المجاز بالحذف 53
ثانيا: بلاغة المجاز المرسل 56
- التجوز بلفظ المسبب عن السبب 57
- التجوز بلفظ السبب عن المسبب 61
- مجاز التشبيه 62
- التجوز بلفظ المراد عن الإرادة 65
- التجوز بالجزء عن الكل 66
- التجوز بالكل عن الجزء 67
- التجوز بذكر المحل وإرادة الحال 68
ثالثا: بلاغة المجاز العقلي 69
المبحث الثاني: بلاغة الاستعارة في الحديث الشريف 73
أولا: فنية الاستعارة المكنية 73
ثانيا: فنية الاستعارة التمثيلية 80
ثالثا: براعة تشخيص بالاستعارة 83

الفصل الثالث: الكناية في حديث النبوي الشريف

المبحث الأول: أبعاد الكناية في الحديث النبوي الشريف 92
أولا: البعد التربوي النفسي بالكناية 92

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: البعد الاحتمالي بالكناية 96
ثالثا: البعد التشريعي بالكناية 100
المبحث الثاني: الكناية عن المعاني بالصور الحسية في الحديث النبوي الشريف 103
أولا: الكناية بالأعداد 103
ثانيا: الكناية بالمسافات 107
ثالثا: الكناية بالأوزان 114
رابعا: الكناية بالألوان 117
الخاتمة 122

الفهـــــــــــارس

أولا: فهرس الآيات 126
ثانيا: فهرس الأحاديث 128
ثالثا: فهرس المصادر والمراجع 135
رابعا: فهرس الموضوعات 140

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية